

حوار العدد مع الأستاذة جناد بن عبد الله

تلعب السياسة الجبائية دورا هاما في تنفيذ استراتيجية التنمية
ومنوال النمو الذي يقع وضعه سنويا في إطار الميزان الاقتصادي الذي
يشكل مرجعية لإعداد مشروع ميزانية الدولة وقانون المالية.



رسائل من الحجر الصحي الذاتي

محمد الجابري

فيروس الكورونا في مختبر...
علم الاجتماع

د منير السعيداني



الفكر المركب عند إدغار
موران فلسفة ومنهج (2ج)

المنتصر الحملي

التحولات الأخلاقية والقيمية في ظل الثورة
المعلوماتية والتواصلية الراهنة

كلمة العدد

رسائل من الحجر الصحيّ الذاتي

محمد الجابلي



منذ عقود ونحن نتخطب داخل شرك رهيب، فخ محكم أو كباشة ذات فكّين يُحكمان قبضتهما: السفلية والإمبريالية، كعديين مُتطرفين ومُجمّعين، ينهشان العقل البشري، تغييبا عند الأول واكساحا قصويوا عند الثاني...

هناك في الأسطورة نجد الجواب، «فاوست» الذي أراد المعرفة والقوة والمُتعة، ومن أجل ذلك كان الحلف مع الشيطان، عقد بيع الروح من أجل القوّة، ذاك قدرنا ونحن في «قلب المرحلة الفاونستية» من تاريخ البشرية – هشاشة ورتاثة- عصر التجار المُتَحيلين وعصر التجار المُسَلحين وعصر التجار الأذكياء المُخادعين...

وعندما نظر «هيجل» للعقل الغربي الجبار المُتحد مع الدولة، كان يدعو بصدى آخر لؤاد منهج «ديكارت» وأخلاقية «كانط» ...

عام بلا خرائط أو عالم بلا أخلاق: الأمريكي الذي ألقى أول قبلة ذرية، هو الأمريكي صاحب مشروع مارشال لإنقاذ أوروبا، هو ذاته صديق الشعوب موزع الطحين والجنين على آآف المُفقرين «هدية من الشعب الأمريكي...ليس للبيع أو المبادلة» ...هو ذاته صانع الغيلان الصغيرة ومحارباها وقتلتها حين جبب القتل...هو ذاته منذ عقود يتهم الشعوب ويحاكمها ثم يدينها أو يربئها ...

ياله من عقد فاوستي رهيب في «العالم القرية» حيث الأطفال يلعبون ويتشاجرون تحت رعاية «العين الزرقاء» التي تحصي الأحلام والأوهام...

نحن رعايا العولمة بتنا في حجر صحي ذاتي، تائهين بين القدر والقدرة، منتظرين مصيرنا هناك، نخزن الطحين والكمامات وتتعدع عن بعضنا وتعيش «مُسارفة» ولا نتنفس إلا من خلال الحواسيب والشاشات، مُعلّقين في معتقلاتنا بين حروب وأخرى ولا نأمل غير السلامة المكسورة الخاطر...

الخيال الامريكي سابق كما الإبداع كما التوايا المفضوحة منذ عقود...حروب واقعة وأخرى مُضمرّة...رواية «دين كوتنز» التي نشرت عام 1981 بعنوان عيون الظلام ستبقى المصير وتصف محنة العالم في حرب فيروسية مُمتعة...كذا بعض الأفلام القديمة ...وكذا ملخص تقرير ال سي أي الصادر سنة 2009 ...خيال استباقي وعقل فاوستي يوجهان مركز القرار ويخطّان سُبل القطيع البشري لعشرات السنين ...

روح شاعرنا الكبير «محمود درويش» تفرّف حولنا في أزمتنا وتردد أصداء مديح الظل العالي: «كم كنت وحدك يا ابن أمي/ يا ابن أكثر من أبي/ كم كنت وحدك/ القمح مر في حقول الآخرين/ والماء مالح/ والغيم فولا/ وهذا النجم جارح/ عليك أن تحيا/ وأن تعطي مقابل حبة الزيتون جلدك... أمريكا هي الطاعون/ والطاعون أمريكا ...»

لا علينا نحن في قلب المحنة والرحى، نحن في امتحان الذات البشرية «المهانة وغير المسمومة» بين القدر والقدرة نندحرج، بين المحنة والامتحان، أذكر تلك الروح التلقائية الخلاقة الخيرة وتلك الهبة الجماعية: هبة الشهامة والخير بعيد «ثورتنا» في الأشهر الأولى قبل أن تتحول إلى ركح السياسيين...

أذكر «لمحنة بنقدران» ونحن على حافة ذكراها، كيف استجدت اللحظة صمودا وشجاعة فكانت سدا تحطم على صخرته شيطان الإرهاب...

لا بدّ من عزم لمقاومة «العقد الشيطاني» لأن تجار الأزمات هم أبناء «فاوست» يعيشون بيننا وفي كل العصور والأزمنة، الذين نهبوا البنوك بعقود شيطانية مطولون بصحوة ما - الآن وليس غدا - ...

حكمانا على رأس قائمة المُمتحنين - الآن وليس غدا- عليهم أن يستبدلوا «مرآى الضدعة بهرآى النسر» بعبارة اشينغلر أن ينظروا لأزمتنا بعين شمولية وأن يتجرؤوا على المبادرة الشجاعة... محنتنا تذكرنا بتخاذلنا القريب، وتفريرطنا في خيرات هذا الوطن ...بمئات الأطباء من خيرة شبابنا الذين هاجروا لأنهم لم يجدوا حصوة في تربتهم، كم هو مومج في محنتنا ونحن بالأمس القريب كنا نتحدث - دون خجل- عن إمكانية غلق مستشفى الرابطة لنقص في الإمكانيات، على حافة الهاوية نحن لولا القطاع العام ...أُف تحبة لجنود الميدان «الإطار الصحي» حماثم السلم والحرب بصبرهم ووطنيتهم وشجاعتهم ... لا شيء يقال ختاماً غير أصداء من شعرنا الخالد:

سقط القناع عن القناع عن القناع ،

ولا أحدُ

الإك في هذا المدى المفتوح للأعداء والنسيان ،

فاجعل كل متراس بلد

لا لا أحدُ

سقط القناع

والله غمّس باسمك البحرّي أسبوع الولادة واستراح إلى الأبد

كُن أنتَ - كن حتّى يكون

لا لا أحدُ

منظرة

مراسلة المغرب

صدور العدد الثامن من مجلة «دفاتر الدكتوراه» 2020

عشرون ناقدا مغربيا بأقلام باحثين من مختبر السرديات المغربي
أحمد البيوري، محمد براءة،سعيد يقطين، عبد الفتح الجعمري،عبد الحميد عطار، عبد القادر الشاوي،عبد الحميد عطار ، حسن بحرراوي،عبد الفتاح كيلطو،عبد الرحيم جبران،سعيد بنكراد،أحمد فرشوخ، رشيد بنحدو، سعيد جبار، محمد أنقار، شرف الدين ماجاولين،حسن المودن ، سعيد علوش،عبد المالك أشهبون ، جمال بندحمان.

النقد الروائي المغربي المعاصر مسارات معرفية و تجارب منهجية

صدر العدد الثامن من مجلة «دفاتر

الدكتوراه»، المجلة المحكمة، الصادرة عن «مركز دراسات الدكتوراه الإنسان والمجال والتواصل والفنون» بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك بالدار البيضاء،إدارة عبد

القادر ككناي وزناسة تحرير رشيد الحضري وهئية التحرير من مدراء مختبرات كلية الآداب بنمسيك بالدار البيضاء، تحت عنوان: «النقد

الروائي المغربي المعاصر مسارات معرفية و تجارب منهجية»، وقد صدر هذا العدد بإشراف مختبر السرديات والخطابات الثقافيّة، ويندرج في سياق فهم المشاريع المنجزة في النقد المغربي المعاصر في مجال السرد، خاصة تلك التي تتميز بعمقها المعرفي وجدارتها المنهجية وراهنيتها الثقافية وطمعها الأطروحي وطموحها المعرفي.

وقد شمل هذا العدد الذي صدر في 290 صفحة من الحجم الكبير، والذي أشرفت عليه لجنة علمية من جامعات مغربية مختلفة(نزهة بوعياذ،أحمد جيلالي، الطالع الحداوي، أمينة دهري، الميلود عثمان، عبد الرحمان غانمي، فاطمة كدو،عبد الواحد لمرايط، حسن المودن، عبد المجيد نوسي)، محاور عديدة من خلال أعمال ندوتين علميتين محكمتين حول تجارب النقد الروائي منها: دراسات تناولت في المشاريع المؤمّسة للنقد الروائي المغربي المعاصر، وضم دراسة الباحث محمد

محور العدد القادم

محور العدد القادم :

الحروب الجديدة وهشاشة البشرية

البريد الإلكتروني : manaraculture@gmail.com

<div><div><div><div><div></div></div><div><div></div></div></div></div></div>
<div> <div><div><div><div></div><div>منظرة</div></div></div><div></div></div></div>

المقر : 41 شارع على درغوٲ - تونس 1001 - الهاتف : 71 255 020 - 71 330 291 / الفاكس : 71 355 139 -

العنوان الإلكتروني : manaraculture@gmail.com - الحساب الجاري بالبريد : 51 - 300

3

العولمة وإغتيال القيم



عاطف رجب

يحتاج عصرنا اليوم إلى إنقاذ ما تبقى من المنظومة القيمية والأخلاقية التي تنهشها العولمة، فهي وحدها القادرة على إنشغال الإنسانيّة من مستنقع التوتّر والصراع الذي أصبح يأخذ أشكالا جديدة من العنف، لذلك فحاجتنا مستعجلة أن يكون للأخلاق والقيم مكالاة مهمة في حياتنا.

طغت المنظومة العالمية الجديدة مبادئها على القيم الإنسانية الأخلاقية التاريخية، لنجد أنفسنا أمام مازق أخلاقي شامل وكوني سببته الوساطة التكنولوجية الساعية إلى تغليب غمط عيش وتفكير موحد لكل البشر.

فليماذا تستهدف العولمة المنظومة القيمية وتسعى إلى تذبذوبها وطمسها ؟

تبدو علاقة القيم الإنسانية بالنظام العالمي الجديد في ظلّ العولمة علاقة نفى وتهديد، لفتح هذه العلاقة لا بدّ من التطرق إلى القيم ودورها وأهميتها، فهي إنعكاس لطرائق التفكير عند الناس كما تشكل منظومة ترشد الأفراد وتحدد سلوكياتهم وتوجه أحكامهم وإنتاجاتهم، في تناوله للقيم الأخلاقية يقول إمبرتو إيكو «إن وجود البعد الأخلاقي مرتبط بظهور الآخر، والغاية قاعدة أخلاقية أو حقوقية هي تنظيم العلاقات بين الأفراد»، كما أن الإنسان كائن قيمي بطبعه، فالقيم تشكل الرؤيا التي ينبنى عليها سلوكه. باختصار القيم الإنسانية هي جوهر إنسانية الإنسان لذلك تعتبر هدفا للعولمة بما هي طموح إلى الهيمنة الشمولية على عالم الإنسان المادي والروحي ولذلك فهي تخرق حياته بواسطة تقنيات الإتصال لبرمجة تفكيره، تعمل وسائل الإتصال العابرة للقفارات على تميمط مختلف مظاهر الوجود الإنساني بهدف صناعة كائنات إستهلاكية تنبني صعود العولمة على ثقافة الإستهلاكية، هذا «الإنسان المستهلك» الذي ترمي العولمة إلى خلقه على أنقاض ميكانيزم المقاومة لدى الإنسان وغير تفكيك العناصر القيمة الإنسانية مقابل تكريس نظام قيمي موحد.

أعلن زمن العولمة أو زمن ما بعد الحداثة إسقاط السرديات الشاملة الكبرى بوصفها حاضنا للقيم الإنسانية ومدافعا عنها، وأرسى ثقافة أحادية تكرر مبادئ وقيم

3

منظرة

الرسالمية العالمية، عملت العولمة على إيجاد تقارب في التطعات والقيم التي تركزت على رغبة الإنسان في التملك أي توحيد التطعات والرؤى وحتى الأحلام، فبعد إسقاط المنظومة القيمية والأخلاقية تسعى العولمة _من خلال وسائل الإتصال_ إلى نشر قيم جديدة كالفرדانية المفرطة والمتعة والإستهلاك والإثراء السريع وغيرها من الثمار المرّة التي تنتجها العولمة المتوحّشة والتي حلت محل القيم الإنسانية كالنزاهة والوفاء والصدق والمساواة وغيرها من القيم الإنسانية التي شحبت بعد أن تم إفراغها من مضامينها الحقيقية وابات جميعها نحو الإندثار والإندثار.

في عصر الإقتصاد، أصبحت الإهتمامات المادية تحل محل الإهتمامات الأخلاقية وصار كل شيء يُقيّم بالمال وقابل للبيع والشراء بما في ذلك الأخلاق التي أصبحت خاضعة للتقييم المادي، تم إختزال المنظومة القيمية الإنسانية في مذهب «المنفعة/المصلحة» الذي روح له منظور النظام العالمي الجديد، حيث أصبح على الإنسان توخي سلوك مرتبط أكثر بالمنفعة الفردية بدل القيمة الأخلاقية، فهو ملزم بتحقيق أهدافه المادية على حساب القيم والأخلاقات. تغلغل قيم الربح والمنفعة والمصلحة والأثنية الفردية كامتداد طبيعي لعولمة القيم وإرساء آليه الكسب التي تقوم على التخريب والهدم القيمي المنموذج الذي نشر كل مكونات المجتمع انطلاقا من الفرد ثم العائلة ثم المجتمع بأسره.

أنتجت العولمة قيما غير مأسئنة لا تأخذ بالمقتضيات الأخلاقية في الإصلاح والتغيير بقدر ما تسعى إلى تكريس المنطق الإقتصادي الخالي من البعد الإنساني والأخلاقي حيث لا مكان للتعايش والتضامن والتعاون، ولقيم العدل والرحمة والمساواة والحق بذلك نظام العولمة إنتاج قيما بالإنتاج المادي.

تفتش اليوم زمن صعود العولمة إلى تناقض مفجوح بين القيم المعلنة والممارسة. أولا، يدعي النظام العالمي الجديد نشر الديمقراطية بل إن منظريه يذهبون إلى ربط الديمقراطية بالإنخراط في العولمة، أما الممارسة فهي توحى بنظام دكتائوري عالمي يسعى إلى نشر نموذج موحد للإنتاج والسوق بل وخلق إنسان واحد مقابل طمس خصوصيات الشعوب وفرض غمط عيش جديد ووحيد لكل سكان الأرض أي النمط الأمريكي.

بسبب عدم تفعيل العلوم اللسانية ودعمها ففهم المجتمع ورصد تغيراته:

انتشار الإرهاب والهجرة السدّرية والانتحار والعنف

بقلم حياة غانمي

يعتبر الهدف من العلوم الإنسانية مفهوماها الشامل هو إعداد المواطن الفاعل الذي يستطيع المشاركة في المسائل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ويساهم في تعزيز الاتجاهات الإيجابية التي تحترم الحريات الاضلل للفرق والمجتمع. حيث أن دور هذه العلوم هو إعداد الشباب القادرين على فهم مجتمعاتهم المحلية ووطنهم والعالم من حولهم. وتشمل العلوم الإنسانية علم الاجتماع وعلوم الجغرافيا والتاريخ والآثار والاقتصاد والانتروبولوجيا والآداب والإعلام وغيرها. ولعل إدراك اغلب الدول المتقدمة مدى أهمية العلوم الإنسانية تنعكس من خلال وجود العديد من مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية والمستقبلية في تلك الدول.
ولتحديد مدى أهمية العلوم الانسانية، لا بد لنا من التعرّيج على دورها في بناء الانسان فكراً وتقنياً، ومساهمتها في صياغة الاتجاهات الفكرية للمجتمع، بالنظر الى دورها في حفز التغيير الإيجابي. هنا يمكن التسليم بان العلوم الانسانية تساهم دون أدنى شك في فهم المجتمع بخصائصها وقضاياها، والمشاكل التي يعاني منها من ثم تسعى الى اقتراح الحلول المناسبة لها. فكثير من القضايا الاجتماعية والتنمية لا يمكن فهمها والسيطرة عليها الا من خلال البحوث الاجتماعية والانسانية التي لا تحظى بالاهتمام الكافي ليس في تونس فقط بل في معظم الدول العربية.
كما تقوم العلوم الانسانية بدور مهم في رفع المستوى الحضاري للمجتمع والعناية بالقيم والتراث الفكري والثقافي للإنسان من خلال حفظه ونقده والاهتمام به، وإبرازه والتعريف به.

عدم تفعيل العلوم اللسانية ففهم المجتمع

ولعل انتشار بعض الظواهر السلبية في مجتمعاتنا على غرار الارهاب وانتشار الجريمة والهجرة غير النظامية والانتحار وغيرها هو أكبر مؤشر على عدم تفعيل العلوم الانسانية وخاصة الاجتماعية ودعمها من اجل فهم المجتمع ورصد التغيرات الطارئة عليه للتمكن من معالجتها ويجاد الحلول المناسبة لها.

وفي اطار التطرق لمسألة نجاعة العلوم الانسانية ودورها في تطوير المجتمعات ،لا بد من الإشارة الى ان المجتمع اليوم يشهد ظواهر تستحق التفكير في مدى خطورتها، إذ نجد اليوم اقبالا شديداً من قبل الأجيال الجديدة على التخصّص في المواد العلميّة والعملية على حساب التخصّصات الكلاسيكيّة وهي الآداب والعلوم الانسانيّة رغم اهميتها في المساهمة في تجاوز ما نعيشه من أزماٲ وتهديدات وجودية.خاصة في ظلّ تفاقم الأزماٲ داخل مجتمعاتنا وتضمّخ التهديدات الوجودية بالحروب والغزو الفكريّ والاقتصاديّ إضافة الى انتشار الإرهاب وتسوية.

ولو ربطنا بين العلوم الانسانية وما ينتشر في مجتمعاتنا اليوم من ظواهر لخرجنا بنتيجة واحدة وهي ان العنف بجميع أنواعه من أسري واجتماعي وسياسي وثقافي لا يمكن معالجته بالمقاربات العلمية الصرفة ولا بارقمته وإمّا بهاته العلوم التي

ثانيا، توهم القيم المعولمة بإمتلاك الحرية المطلقة في الإختبار والإمتلاك والتعبير، والواقع أنها تتميز ب الحقيقة بانفصالها عن قيم المجتمع حيث هذا الإحساس بإمتلاك

الحرية في وسائل الإعلام الجديدة غير الخاضعة للرقابة الحكومية هو إيهام بالحرية، فوسائل الإتصال والإعلام الجديدة خاضعة بدورها لهيمنة الشركات عبر_القطرية التي تعمل من خلالها على توجيه «الحرية المرعومة» التي تدعيها العولمة، فكل وسائل الإتصال العصرية (قنوات، مواقع، تطبيقات...) تخلو من الحياد القيمي بل تحمل مضامين قيمية منحازة لقيم السوق والإستهلاك والتسلية والترفيه على حساب البناء الفكري والتفكير النقدي لتصبح بذلك حرية العولمة المرعومة عبودية بشرط جديدة.

ثالثا، إدعاء العولمة محو الحدود خاطئ تماما، فوسائل الإتصال الحديثة عمقت عزلة الإنسان وأفسدت قيما إنسانية كالحب، في عصر العولمة تحول الحب إلى رغبة في الإشباع والإلتهاق تعقنها رغبة في التدمير والإقصاء حيث صار الحب تلك الصقعة الخاسرة التي يجب الإسحاب منها في أسرع وقت فإنتشرت في المجتمعات المعولمة الرغبة في الإستهلاك اللطفي للحب.

تحوّل العالم إلى فضاءات عولميّة منفصلة ومعزولة حيث طغت الهشاشة والميوعة التي تنشرها وسائل الإتصال الحديثة وصارت تخرر الروابط الإنسانية وتذيب السلطة الأخلاقية لتصبح المدن مقالب قفامة لمخلفات العولمة تعتمد فيها قيمة الحياة الإنسانية فقبلت القيم الإنسانية الحقيقة كالحب والكرامة والصدق والعدل والحرية التي يحقق من خلالها الإنسان إنسانيته ويفقدانها يصير الإنسان لقمّة صائغة في آلة مجتمع إستهلاكي يبدد أماله في مستقبل آمن وحياة مستقرّة يوما بعد يوم.

تفتش اليوم زمن صعود العولمة والإبتذال وسيطرة نظام أحادي يعمل على تهميش المنظومة القيمية، فالنظام الرأسمالي لا يستمد قوته من قوّة الجيوش بل هي القيم المعولمة التي يقوم عليها والتي تعتبر أبرز ويستمد منها أسباب إستمراره، لذلك فالحاجة اليوم ملحة لتعليم «الإنسانية للإنسانية».

*باحث في التاريخ المعاصر



أسلوبها في معالجة النظريات والظواهر الإنسانية بالطابع النقدي. ونحن في أمسّ الحاجة إلى أفراد يتمتعون بحس نقدي، يخول لهم التساؤل والتفسير ومحاولة الفهم وان تطلب الامر تقويض بعض المرامع والدعاوى التي تنتجها لنا بعض الحقول المعرفية، كالسياسة والدين وأخرى تخص المجتمع والنفوس.. وغيرها من مجالات التفكير.

ولما تخلفت العلوم الإنسانية عن الدور المنوط بها، وأبرزها قيادة المجتمع إلى بر الأمان، وإنتاج نماذج تفسيرية لاستفهام كل ما يلعب به المجتمع من أزمتا، وما يتخطب فيه من مشاكل على جميع المستويات، ومحاولة إيجاد الحلول الممكنة لذلك. فلها تخلفت الإنسانيات تقدم العلم، فأفتى في كل الظواهر والاشكاليات التي تشغل فكر الناس فأفسد من حيث أراد الإصلاح.

وبحديثنا هذا لا نرمي البتة إلى اقضاء العلوم الاخرى ولا الى التقليل من شأنها، بل وجب تثمين ما لها من امتيازات وإيجابيات على الافراد والمجتمعات، لكن ببساطة لا يجب ان تتحكم في إنسانيتنا.

وبناء عليه فانه على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ان تعيد النظر في الإنسانيات، وان تدفع الى حتى تستقر في المكانة اللائقة بها، لما لها من أهمية كبرى في حياتنا ولمساهمتها في إنتاج جيل عاقل واع ومسؤولياته.

وتوجب الإشارة إلى أن العلماء والباحثين في مجال العلوم والانسانية في تونس وفي البلدان العربية بصفة عامة، مقصرون في اجراء الدراسات التي ترصد بعض الاضرارات لبعض المشكلات، والتي تبرز الاتجاهات الفكرية والثقافية والاجتماعية لدى فئة الشباب في مجتمعاتنا. ولكن يمكن ان نجد بعض الاعذار لهم. فلا يحظى الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية بالدعم المادي الكافي لإنجاز بحوث علمية جادة، كما يواجه الباحث في هذه العلوم صعوبة كبيرة في الحصول على البيانات المتعلقة بالإنسان وشؤونه، سواء من خلال جمعها مباشرة من الناس، او الحصول عليها من الجهات الحكومية والخاصة.

وبالتالي فإن عدم إدراك اهمية العلوم الانسانية ودورها في بناء المجتمع وفهم التغيرات التي يشهدها والمشكلات التي يعاني منها يدل على إشغالتنا بالأمر الراهنة على حساب المستقبل، وبالقبضايا المرحلية على حساب الرؤية الإستراتيجية، وهذا يؤدي في النهاية الى غياب التصور الشامل لمستقبل المجتمع الذي يشهد تغيراً تقنياً واجتماعياً سريعاً. وبناء على ما سبق، تظهر أهمية انشاء مراكز البحوث المتخصصة في مجالات العلوم الانسانية ودعم الموجود منها. كما تضخ الحاجة الماسمة لإعداد الطلعة والباحثين المميزين، ودعمهم لإجراء الدراسات العلمية التي تسعى الى فهم المجتمعات.

المنتصر الحملي



13-المفاهيم أو المبادئ الأساسية في الفكر المركّب:
إنّ المبادئ التي تساعد الإنسان المعاصر وإنسان المستقبل على تغيير نظرته إلى المظاهر أو القضايا التي تعترضه في حياته هي -حسب إدغار موران، وكما تجلّت في أهمّ كتبه- ثلاثة: مبدأ الحوارية ومبدأ التّأثير الارتداديّ والمبدأ الهولوغراميّ.

أ- مبدأ الحوارية le principe dialogique:

كتب إدغار موران في جزء من عمله الضّخم «المنهج» ما يلي: «الحوارية هي وحدة معقدة بين منطقين وكيانين متكاملين ومتناقسين ومتعارضين يتغلّذى أحدهما على الآخر»12.

«إذن، فمبدأ الحوارية يجمع بين مفهومين أو مبدأين متنازعين إلاّ أنّه لا يمكن الفصل بينهما، وهما مهّمان لفهم جوهر واحد أو حقيقة واحدة…»13. فالحوارية من وجهة نظر إدغار موران تسمح للفكر بأن يتعامل مع المتعارضات من أجل الوصول إلى كلّ ما هو مركّب، كما تسمح بالمحافظة على كلّ ما هو متضارب ومتعارض داخل الوحدة لأنّها تعمل على احتواء كلّ العناصر المتعارضة والمتناقضة وعلى تجميعها، مثل الانتظام والاختلال في الوقت نفسه. وهي بهذا تختلف عن الجدلية الهيغلية، فالمتناقضات في فلسفة هيغل تجد حلولا لها، ويتجاوز بعضها البعض ويلغي الواحد منها الآخر داخل وحدة عليا. أمّا في الحوارية، فتكون المتناقضات دائمة وتشكّل كيانات أو ظواهر معقدة.

يضرب موران في مؤلفاته العديدة أمثلة كثيرة على هذه الحوارية بين المتناقضات والأضداد، ومنها هذا المثال الذي قدّمه في كتابه «التّفكير الشّامل»، إذ يقول:

« وهناك مظهر آخر من مظاهر التّعقيد الحيّ كنت قد سمّيته حوارياّ لأنه يتكوّن من أركان يمكن أن تكون متكاملة ومتعارضة في آن معا، فنحن نتشكّل من مادّتين مختلفتين للغاية، هما:

- الحمض التّوويّ المستدام الذي يتكرّر من جيل إلى جيل، ويعبر الزّمن.

- والبروتينات التي هي هسّة للغاية وتموت وتنتجها أجسامنا باستمرار.

تجسّد هاتان المادّتان، في اختلافاتهما، التّكامل بين عنصرين يشكلّان الحياة: بين الجانب الوجودي للحياة من جهة، أي العيش والاستمتاع، والجانب المنتج للحياة من الجهة الأخرى، أي التناسل، ولكنّ هذا التّكامل يمكن أن يفضي إلى التنازع. إذ يمكن أن يكون هناك تنازع في المسارات التّكميليةّ للاستمتاع الشّخصيّ وللتناسل؛ فيبضّ الناس، حتّى قبل وجود حبوب منع الحمل وموادّ الإجهاض المختلفة، كانوا ينجحون من خلال مقاطعة الجماع أو بطرق أخرى في تجنّب ما ينجّر عن استمتاعهم الجنسي من عواقب إنجابية»14.

ب- مبدأ التّأثير الارتداديّ أو المرثدّ -Le principe de récur-sion

وهو مبدأ يتعارض بدوره مع طريقتنا المعتادة في التّفكير القائمة على مبدأ السببية الخطيّة التي تعتبر أنّ الظّاهرة أ تفضي إلى الظّاهرة ب وتقف عند هذا الحدّ، أو إذا قمنا بهذا العمل فسيفضي بنا إلى النتيجة التالية. أمّا مبدأ التّأثير الارتداديّ فينظر إلى السببية ذهابا وإيابا، ويعتبر أنّ السبّب يصبح بدوره نتيجة. فالظّاهرة أ تودّي إلى الظّاهرة ب ولكن أيضا الظّاهرة ب تؤثر

الفكر المركّب عند إدغار موران فلسفة ومنهجها 2-

في الظّاهرة أ. هناك إذن تأثير متبادل بين الطّواهر. فالأفراد على

سبيل المثال يشكّون المجتمع ولكن المجتمع في الوقت نفسه يخلق الأفراد، إذ يوفر لهم ظروف التّكاثر والعلاج والتّعليم والثّقافة الخ... كلّ من الفرد والمجتمع حينئذ يخلق أحدهما الآخر، كلّ منهما منتج ومنتج للأخر. ننظر إلى العلاقة بين الفرد ومنظومة النّوع التّناسلية على سبيل المثال. فلكي تستمرّ هذه المنظومة من الضّروريّ أن يتزواج شخصان من جنسين مختلفين لينجبا نسلا سوف يستمرّ هو نفسه في القيام بهذه العمليّة.

« بتعبير آخر، يقول إدغار موران، نحن نتاج العمليّة التّناسليّة للنّوع البشري، ولكنّنا في الوقت نفسه متّيجوها. وهذا يعني أنّنا متّنجون ومتّيجون في آن واحد»15.

ت- المبدأ الهولوغراميّ Le principe hologrammatique
هو المبدأ المستمدّ من الهولوجرام hologramme، وهي الصّورة ثلاثيّة الأبعاد. ففي الهولوجرام هناك صورة، وكلّ نقطة في هذه الصّورة تحمل هي نفسها الصّورة العامّة. إنّهُ المبدأ الذي يعتبر أنّ الكلّ موجود في الجزء وأنّ الجزء موجود في الكلّ. فالحمض التّوويّ لكلّ واحد ممّا على سبيل المثال ADN، موجود في كلّ جزء ممّا، أي في كلّ خلية من خلايانا، من بشرتنا، إذن هو كلّ موجود في الأجزاء ولكنّ الأجزاء بدورها موجودة في الكلّ الذي هو كلّ واحد ممّا. يقول إدغار موران في مؤلّفه «التّفكير الشّامل»: «هذا ما يمكن أن نسمّيه بالمبدأ الهولوجراميّ (ثلاثي الأبعاد) le principe hologrammatique؛ ففي الصّورة الفوتوغرافيّة، تشير كلّ نقطة إلى نقطة من الشّيء الذي تمثّله، إلى سيّارة على سبيل المثال، أمّا في الصّورة ثلاثيّة الأبعاد، فكّل نقطة تحتوي تقريبا على الشّيء بأكمله. فليس الجزء فقط موجودا في الكلّ، ولكنّ الكلّ موجود في الجزء أيضا، وهذا هو السبّب الذي يجعلنا نقول إنّ الكائن البشريّ هو في الوقت نفسه فرديّ 100 % واجتماعيّ 100 %»16.

هذا المبدأ الهولوجراميّ يمكّنا -كما يرى موران- من تجاوز النزعة الاختزاليّة التي حصرت المعارف في الأجزاء، كما أنّنا نستطيع من خلاله تجاوز النزعة الكليّة التي اختزلت المعرفة في الكلّ: «تتجاوز فكرة الهولوجرام النزعة الاختزاليّة التي لا ترى سوى الأجزاء والنزعة الكليّة التي لا ترى سوى الكل»17.

وكتب أيضا: «هذا ما يؤكّد لنا مبدأ الصّورة ثلاثيّة الإبعاد -hologrammatique: مبدأ أنّنا متحدون مع كوننا، أنّنا جزء من عالمانا الفيزيائيّ البيولوجيّ الكوني، وأنّنا في الوقت نفسه متميّزون عنه بثقافتنا ووعينا بهويّتنا البيولوجيّة والأنتروبولوجيّة المرذوجة، وأيضا بهويّتنا الأنتروبولوجيّة والبيوكونيّة المرذوجة»18.

خاتمة

رأى موران أنّ المعرفة الحديثة اختزاليّة وتبسيطيّة تجزيئية، واعتبر أنّ التّيسيط والفصل والتّجزئة تودّي كلّها إلى فقدان الروابط بين الأشياء والمعارف، بين ذات الباحث وموضوع البحث، وهو ما من شأنه أن يودّي إلى تشبّث المعرفة وتشويبهها. فالمعرفة الحقّ تأتي من خلال الرّبط بين ذات والموضوع، بين الجزء والكلّ، بين مختلف الأبعاد المشكّلة لايّة ظاهرة، وذلك وفق منهج تركيبيّ، منفتح ومرن ومتعسك على ذاته، يتجاوز الايستيمولوجيا الكلاسيكيّة القائمة على الثنائيات المنفصلة.

ولكن، ورغم الجهود العظيمة التي قام بها إدغار موران طيلة أكثر من نصف قرن في سبيل التعريف بهذا الفكر المركّب ونشر نظريّته في التّعقيد، فقد بدا في حواراته الأخيرة غير راض على

4



مأل تلك الجهود، ففي حوار معه نُشر العام الفارط أجاب على سؤال يتعلّق بتفوهه لصحيلة أعماله قائلا: «مازال طريقة تفكيرنا ثنائيّة، بما في ذلك بين أوساط العلماء. وهذا ما يفسّر لماذا ظلّت مساهمتي غير متجدّرة، بل ومشتّبة. كثيرا ما أقول إنّني مثلّ شجرة تحمل الرّيح بذورها التي سوف تسقط أحيانا في الصّحارى، أو ربّما تنبت في بعض الأحيان بعيدا جدّا عن ها هنا…»19.

- الهوامش:

12- التّهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، ج4، تر جمال شحيد، المنظمة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 49.

13- التّهج: إنسانيّة البشريّة: الهوية البشرية، تر هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، الامارات، ط 1، 2009، ص349.

14- التّفكير الشّامل: الإنسان وكونه، تر المنتصر الحملي.

15- نفسه.

16- نفسه.

17- أزمة المعرفة، عندما يفتقر الغرب إلى فنّ العيش، تر جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، ع 1، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجيةّ، بيروت، لبنان، 2015، ص58.

18- الفكر الشّامل: الإنسان وكونه، تر المنتصر الحملي.

19- من حوار تحت عنوان «إدغار موران أو تقريض الفكر المركّب»، مجلّة Carnets de science، ع4، سنة 2018، تر المنتصر الحملي.

- المراجع:

- الفكر والمستقبل: مدخل للفكر المركّب، ترجمة أحمد القصور ومئير الحوجي، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب ط1، 2004.

- التّهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، ج4، تر جمال شحيد، المنظمة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

- التّهج: إنسانيّة البشريّة: الهوية البشرية، تر هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، الامارات، ط 1، 2009.

- Penser globale: L'homme et son univers, univers, Flammarion, 2016.

Introduction à une politique de l'homme, éditions du Seuil, 1999

- مقدّمة «المعارف السّبع الضّرووريّة للتّربية في المستقبل»، تر المنتصر الحملي، مجلّة الحياة الثقّافيّة، ديسمبر 2018.

5

... وهكذا فإنّه أثناء إعادة إرساء النظام الليبرالي وهوالعائد بعناد شديد بعد غياب تكتيكيّ مسميا نفسه كما سلف القول بالنظام النيوليبرالي وذلك بدفع ظاهري من مارغاريت تاتشر في بريطانيا ورونالد ريغن بأمریکا ولكن بفعل حقيقيّ من «اليد الخفيّة للسوق» التي أشار إليها آدم سميث في كتابه «ثروة الأمم»، فإن هذه المراكز قد أعطت لمفهوم المجتمع المدني معاني جديدة كثيرة المرونة كونها

تأخذ حدودا متغيرة إلى هذا الحد أو الآخر حسب الحاجيات البراغماتية

للسياسات البريالية التي يسبقق توحها في ظل الأحادية القطبية، وهي السياسات التي خططوا لدبومتها إلى حد أنهم تمنوا أن يكون كامل القرن الواحد والعشرين قرنا أمريكيا بدون منازع ، ولحسن حظ البشرية أن ذلك لم يكن عند النهاية، وذلك لأن الدولة ـ الأمة والدولة كمؤسسة عموما قد صمدتا في وجه عاصفة العولمة النبو ليبرالية التي هدفت وبشدة لا رحمة فيها إلى ملاحقتها أو إلى إضعافها مثلما شهدنا ذلك في الصومال وفي العراق وفي سوريا وفي يوغسلافيا السابقة وفي السودان .

ويمكن القول إنه إذ فرق أنطونيو غرامشي بين المجتمع المدني وبين المجتمع السياسي فإن تجربة التعامل مع هذا المفهوم في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين قد أذابت الحدود بينهما إذ أثبت تطور الأحداث أن مفهوم المجتمع المدني في نطاق البراغماتية البريالية يمكن أن يشمل جميع التنظيمات التي تنكب على تحقيق المهام التي تنبع من حاجيات الناس والتي تعجز السلطات القائمة عن تلبيتها أو تتلكأ في تلبيتها أو تقع المتحركين من أجل تحقيقها ؛

وبهذه الصفة فقد تم إيجاد تقاطعات جديدة جعلت مفهوم المجتمع المدني يتجاوز ماكان يسمى سابقا بالجمعيات الأهلية والتي كانت غير ربحية ولكنها لم تعد كذلك اليوم على مرأى وسمسمع من الجميع، ليشمل وحدات البحث الجامعي والنقابات المهنية للأحرف والعمال والفلاحين ودوائر العمل الثقافي والأكاديمي وحتى الأحزاب السياسية التي كانت من قبل تقع خارج دوائره .

وإذ أدت التغييرات المتلاحقة داخل نمط الإنتاج الرأسمالي التي حدثت بفعل الثورة التقنية المتعاطمة والتي شملت فيما شملت ميدان الإعلام والتواصل بين الناس وإدخال الروبوتية في سيورة الإنتاج عوضا عن الجهد البشري للكلاحين وحده مثلما كان الأمر عند انطلاق الثورة الصناعية ، ما أعطى قيمة مضافة للكفّات في كافة المجالات فقد ازدادت أهمية مفهوم « المجتمع المدني » إلى حد أنه نبوا دوره كي يصبح خزاننا حقيقيا يمد الطبقات السائدة بفاعلين جدد يثرون قياداتها وهيكليها السياسية ولكنه يراد له رغم ذلك أن يبقى في أدائه قاصر عن التفكير في العثور على الحلول الجذرية لمعضلات نمط الإنتاج الرأسمالي وأزماته المتلاحقة ومقتصر فقط على محاولة إيجاد الإصلاحات الجزئية في المواضيع التي تظهر فيها مساوىء هذا النظام ؛

سواء في ميدان المساس الإجرامي بالبيئة،وهوالإجرام الناتج عن السعي الرأسمالي للربح على حساب كل شيء، وحتى على حساب تواصل الحياة نفسها فوق الأرض ،ولكنهم يحاولون تأخيرها حتى يبقى ضمن الحدود التي يريدونها،

أو في ميدان «الجنْدرة» وهو المفهوم الذي جعلوه يحل محل تحرير الرجال والنساء من سيطرة الثقافة الذكورية ، أو في ميدان العمل «اللاثق» وهو المفهوم الذي جعلوه يحل محل مفهوم تحرير العمل وانتعاق الكادحين من الاستغلال الرأسمالي ، أو في ميدان «الحوكمة» المسماة رشيدة وهو المفهوم الذي جعلوه يحل محل مفهوم سلطة الشعب ،

أو في ميدان التظاهر بالحد من الفساد الذي ينتجه السير الطبيعي لهذا النظام لأن هذا النظام لا يمكن له أن يشتغل بدون رشايوي وبدون فساد، أو في ميدان حقوق ما أصبح يسمي بالأقليات التي نوعوها حتى شملت كل شيء بمافي ذلك الشذوذ الذي عوضا عن معالجه فهم يحاولون تقنينه إلى حد السماح للمثليين بتكوين نواتات عائيلة معترف بها أمام السلط البلدية ،

أو في ميدان التغطية الاجتماعية ... خاصة وأن هذه الأخيرة قد تقلص مع النيوليبرالية مجالها الإجباري بالنسبة للدولة ليقع تعويض ما شملها من

محمد صالح التومي - المعروف في



نقص بالإحسان والعمل الخيري الذي يستوجب وجود جمعيات مدعومة تكلف بالسهر على ذلك.

ويبقى أنه لا بد أيضا من الوقوف هنا عند نقطة مهمة تتمثل فيما طرأ على العلاقات الاجتماعية والقوى المنتجة، إذ أن النظام الطبقي الذي صاحب الثورة الصناعية في بداياتها والذي كان قسم المجتمع إلى طبقتين متناحرتين هما العمال والأغرف في المراكز الرأسمالية المتقدمة والذي كان يصعد الطبوعلى نفس الشاكلة في «الأطراف» مع شيء من التخلف فيها طبعا عن الوصول إلى نفس الدرجة لأسباب تاريخية وهيكلية ، قد أتت عليه التغييرات بفعل إدخال العمل الروبوتي في المراكز المتقدمة كما بسبب فرض الإصلاحات الهيكلية في الأطراف، ما قلص نسبيا من عدد المنتمين إلى الطبقة العاملة ودفع إلى الواجهة بفاعلين جدد في المدن والأرياف ينتمون إلى جحافل المهمشين والمحرومين والمطرودين ممن يسمون بالزائدين عن العاجزة رأسماليا، وهو مفهوم يختلف تماما عن المفهوم الكلاسيكي لما كان يعرف بجيش البطالة الاحتياطي، والذين (أي من تم اعتبارهم زائدين عن الحاجة) قد يكونون من الكفاءات ومن حملة الشهادات العالية ، ولكن المنظومة القائمة في المراكز المتقدمة كما في الأطراف تعجز عن استيعابهم وعن الاستجابة لطلباتهم في العيش الكريم فيضطرون إلى الانتظام في شبكات جديدة من العلاقات تخرج عن الأطر الجمعباتية والحزبية التقليدية ...وهذه الشبكات إذ لا تزال تبحث عن نفسها فهي عصية عن التصنيف إلى حد اليوم ولا يمكن إدخالها بسهولة في بوتقة ما تم الاعتبار عليه من تصنيفات... فلهي أحزاب سياسية ولاهي جمعيات غير كحومية وإن كانت تقوم بأدوار تشبه أدوارها أحيانا ولكن دون أن تدخل عند النهاية في بوتقتهما... ورغم ذلك فإن الأوليغارشيا المالية لا تردد في التوجه إلى القيادات في هذه الأشكال الجديدة من التأيير الاجتماعي محاولة سواء بواسطة المال أو القمع منحها من معانقة التحول إلى مشاريع جذرية وتورية وإبقاءها ما أمكن ذلك في بوتقة مشاريع إصلاح ماهر قائم فقط .

فالأوليغارشيا المالية العالمية مستعدة على الدوام لاقتطاع أجزاء من فائض نهجها لخيرات الشعوب ، وأن تصرف ماتقسطه بواسطة المناحين العاملين تحت إمرتها على كافة المستعدين لخدمة أهدافها وللانضواء في تحديدات نظامها أينما كانت مواقعهم الاجتماعية مقابل ما تغدقه عليهم من أموال ومن مناصب قيادية عند الاقتضاء... وهكذا فهي تحقق من خلال مفهوم المجتمع المدني أحلامها.

محاولة لتشرح مع سمي ب» النموذج التوتسي» ،

لا بد هنا من التذكير هنا بأن توتس في المنطقة الفلندية وبولونيا في الشرق الأوروبي كانتا من أهم المختبران وحده عند انطلاق الثورة الصناعية ، ما أعطى قيمة مضافة للكفّات في كافة المجالات فقد ازدادت أهمية مفهوم « المجتمع المدني » إلى حد أنه نبوا دوره كي يصبح خزاننا حقيقيا يمد الطبقات السائدة بفاعلين جدد يثرون قياداتها وهيكليها السياسية ولكنه يراد له رغم ذلك أن يبقى في أدائه قاصر عن التفكير في العثور على الحلول الجذرية لمعضلات نمط الإنتاج الرأسمالي وأزماته المتلاحقة ومقتصر فقط على محاولة إيجاد الإصلاحات الجزئية في المواضيع التي تظهر فيها مساوىء هذا النظام ؛

تغيب أسماؤهم عن المتابعين للشأن السياسي في كل مكان) .

إنه في هذا النطاق يجب أن نفهم بعض جوانب الانتفاضة التي اندلعت بداية في 17 ديسمبر- كانون الأول 2010 بسيدوي بوزيد بتونس كغضب

عقوي سليل انتفاضات الشعب التونسي التي ميزت حياته منذ نهاية الاستعمار الفرنسي المباشر سنة 1956 مثل انتفاضة الفلاحين بالوردانين في ستينات القرن العشرين احتجاجا على تجربة « التعاضد» البيروقراطي والقسري الذي طبق آنذاك، ومثل انتفاضة الشباب الطلابي في فيفري 1972 من أجل ثقافة وطنية وجامعة شعبية ، ومثل انتفاضة العمال في جانفي 1978 احتجاجا على ظروف عيشهم كما على محاولة تدجين حركتهم النقابية، ومثل انتفاضة الخبزبومي 3 و4 جانفي / كانون الثاي 1984 ، ومثل انتفاضة الحوض المنجمي التي دامت قرابة الستة أشهر سنة 2008 من أجل سياسة تنموية منصفة وعادلة ؛

ولكن انتفاضة 17 ديسمبر- كانون الثاني 2010 تمت في ظروف تاريخية مغايرة تماما لكل تلك الانتفاضات مجتمعة ، إذ كان ذلك على إثر تظنن البريالية المتصنيفة إلى نهاية صلوحية النظام الرسمي العربي ، وهي النهاية التي اكتشفت لها تماما وبكامل الوضوح سنة 2006 حيث إن الصهيونية العالمية وعبر كيانها الدخيل والمغرورس غرسا في أرض الوطن العربي قد وجدت صعوبة في الانتصارعلى مجموعة مسلحة غير رسمية

منظر عربي

رؤى حول« الربيع العربي» - 2 -

هي حزب الله اللبناني و لم تتمكن لا الدولة اللبنانية ولا مسانديها في ممالك وإمارات النفط الخليجي من التأثير على مجريات الحرب فتم بتلك المناسبة قهر ... «الجيش الذي لا يقهر» والذي كان يشكل في منطقة النفط والغاز والممرات البحرية أحد ركائز التالوث المتكون منها (أي الصهيونية العالمية) ومن الرجعيات «العربية» الحاكمة ومن الامبرياليات الأطلسية، وهو التالوث الذي تتمثل مهمته في منطقة القومية العربية في المحافظة على موازانات اتفاقية سايكس بيكو(1916) كيفما تم إفراؤها مع قرب نهاية الحرب « العالمية» الأولى، وكيفما تم تدعيمها بترتيبات الحرب « العالمية» الثانية وما بعدها سواء في بريتون وودز سنة 1944 حيث وقع التطرق إلى الموازانات المالية الواجب ائنيائها على الدولار عوضا عن الذهب ،أو في يالطا التي شهدت خلال فيفري/ شباط 1945 تفاهمات نهاية تلك الحرب بين المنتصرين ، أو في محكمة نورمبراغ التي انعدقت بسرعة لمحاكمة المهزومين من نوفمبر/ تشرين الثاني 1945 إلى أكتوبر/ تشرين الأول 1946.

فكل ذلك المستجد الذي وقع سنة 2006 بالمشرق العربي كان باعنا على التفكير الجدي والصارم هذه المرة في بحث رؤى جديدة من خلال «مشروع الشرق الأوسط الجديد» أو «الكبير» وذلك عبر كتننة الوطن العربي وتفتيته، وهو ما لا يمكن أن يتم بدون إثارة النزعات الطائفية للاتصال بمختلف المكونات السكانية ولتجنيد أو تصنيع « قيادات» لهذه

المكونات بواسطة المال المغدق بسخاء خدمة للأهداف المراد بلوغها.

وهكذا فعندما اندلع غضب الشباب التونسي بداية من يوم 17 ديسمبر 2010 سرعان ما فكرت الدوائر البريالية في تنفيذ مخططاتها الجاهرة تحت عنوان« الفوضى الخلاقة» فشهدنا في تونس ما يشبه رقصة الفالس لأقطاب السياسة والاقتصاد الغربيين من طراركاترين أشتون وزيرة الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي آنذاك وهيلاري كلينتون كاتبة الدولة للخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية، وكريستين لا قاردر ممثلة

صدوق النقد الدولي، و نوح فيلدمان الذي يقع تسويقه كرجل القانون الدستوري «العالمي» وجيفري فيلتمان الديبلوماسي المعارف بتضاريس المجتمعات العربية ، ومجموعات «كرايزس قروب» المكلفة أمريكا بدراسة الأزمتا و باقتراح حلولها الممكنة، و«آيفاس» المعنية بتحديد الأنظمة الانتخابية الملائمة لكل وضع، و مبادرة الشراكة للشرق الأوسط المعروفة باسم «المبيي» والجمعيات المانحة الألمانية بأسمائها المتنوعة

مثل فريدريك هيبارت وهانس سيدل وفريدريك بوبل وروزا ليكسمبورغ وغيرها، والأموال المسماة خيرية للعالئات الحاكمة لقطر والسعودية والإميرات العربية التي تعمل كوكالة لمختلف اللوبيات الأمريكية في تناقضها، والاختراقات المختلفة للدولة التركية المنتمبة للحلف الأطلسي والمحكومة من طرف حزب متأسلم يحلم بإعادة بناء الامبراطورية العثمانية ... ومختلف المخابرات الفرنسية والبريطانية والأمريكية بما فيها الموساد الصهيوني، وهذا الأخير لا بد هنا من التذكير بمقاله في شأن دوره الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية الصهيونية الجنرال عاموس يدلين الذي صرح جهرا أن الشعبة التي كان يشرف عليها « تمكّنت من نشر شبكة لجمع المعلومات في تونس قادرة على التأثير السليمي أو الإيجابي في جميع المجالات الاجتماعية بهذه البلاد «كيفما نشر هذا بتاريخ 5 أكتوبر/ تشرين الأول 2013 موقع الصدى/ نات التونسي نقلنا عن القناة التاسعة الصهيونية ...

إذ هبت كل هذه الأطراف إلى تونس وفقا لأجنداتها في اختلافها كما في تلاقيها وعلى لسانهم العودد الخلابة والأموال المنسابة ... وهدفهم الوحيد هو اختراق الانتفاضة التي كانت باسلة حقا وسامت فيها بغزارة دماء الشهداء ، ومنعنا من أن نلتمس طريق التحول إلى ثورة حقيقية تخلق قطعة فعليّة بين تونس وبين السياسات الصهيو - امبريالية ما قد يمكن من انبعاث نمُوذج قد يقع استنساخه في غير السبل التي يريدونها... فيتسح الفتق على رنقهم... ولذلك خططاو كي يكتفي التونسيون بسقوط رأس نظام الاستبداد ممثلا في زين العابدين بن علي بعد دفعه دفعا إلى معادرة البلاد بمختلف الصغوبات وأن يسوقوا ذلك كالتنصا ر «لثورة ياسمين» ، رغم بقاء كل أسس النظام القديم اقتصاديا واجتماعيا ووطنيا... بل والأدنى من ذلك مع افتتاح الأثق على فاعلين سياسيين جدد مربوطين إلى دوائهم بشئى الأواصر فلانيء يضمن أن يكونوا أقل فسادا وعمالة ممن سبقوهم...بل لقد اتضح بالتجربة بعد ذلك أنهم لم يكونوا أبدا أفضل من الذين كانوا.

ورقات فلسطينية

الدولة الواحدة تراث مضاد،هروب من الميدان وتعمية الرؤية

د:عادل سمارة



لم يتم إقحام الكيان الصهيوني في فلسطين عملية، وإن كان مغفلاً بلاء رقيق تحت تسمية دولتين لشعبين. أمَّا الحديث عن الدولة الواحدة في فلسطين المحتلة فيعود إلى قرابة قرن من الزمان. وهو تراث ابتدئته القوى التحريفية في الحركة الشيوعية، طبعاً بعد لينين. ولأنه أن من هناك، فقد تم طلائه مساحيق تقدمية وماركسية وإنسانية وبالطبع جرت وتجري المفاخرة بذلك كما لو كان الأمر إنجازاً ثوريا. مشروع الدولة الواحدة هو، بلا هوامش وتكديس كلام لغوي بحت، استدخال للهزيمة لصالح المشروع الاستيطاني الإقتلاعي. هو مطلب مناقض للتاريخ حتى تاريخ المستوطنات الراسمالية البيضاء، اي كندا، أمريكا نيويورك، إسرائيل، ناهيك عن الاستيطان الإسباني في أمريكا الجنوبية حيث في كل هذا كان المشروع يوضح إفناء السكان الأصليين اي أهل البلاد، وهذا ما حصل. أي ان الدولة الواحدة هي مساومة لصالح الاستيطان الصهيوني في فلسطين واعتبارها منذ البداية “الشريك” الأساسي وصاحب “الحق” والقرار في الأرض، وهذا منسجم تماما مع وعد بلفور وصولا بالطبع إلى منح المستوطنين كامل الأرض.

ووعد بلفور ليس المؤامرة الوحيدة على القضية الفلسطينية، فكل عربي أو فلسطيني وافق ذات وقت على تسهيل الاستيطان في فلسطين، هو طبعة من هذا الوعد، مثلا، موقف آل سعود من إعطاء فلسطين لليهود وموقف فيصل بن الحسين كذلك وكلاهما عام 1918 اي بعد بلفور بسنة. بل إن بقاء أية علاقة لأية دولة عربية مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا بعد وعد بلفور هو مشاركة في تصفية الوطن الفلسطيني وتمكين السيطرة الإمبريالية على الوطن العربي.

وعليه، فإن الرجعية والقبائلية العربية قد سبقت التحريفية في خدمة الكيان الصهيوني وتصفيته القضية الفلسطينية بل استفادت من التلطي وراء تفاخر التحريفية بالسلام المخربوب في عمقه باستسلامه للصهيونية والإمبريالية.

وإذا كان لنا صدق القول، فإن التطبيع مع العدو لم يبدأ كما نلاحظ الإهتمام به في العقود الأخيرة أي بعد احتلال 1967، بل هو أقدم بكثير مما يستدعي القيام بدراسة تاريخية توثيقية تحليلية لدور الأنظمة ومثقفين عربا في بناء الكيان الصهيوني، وليس أدل على ذلك من تسهيل هجرات اليهود العرب إلى الكيان الصهيوني.

وإذا رغب البعض، من قبيل المباحكة أو التغطية على دوره الطبيعي، لا نقول الخياني كي لا لا تؤدي مسامح ذوي الأذنان الرقيقة، فنحيلهم إلى موقف إيديولوجيي الصهيونية وسياسوا الصهيونية حتى اليوم. ففي الوقت الذي تبارى ويتبارى عرب وفلسطينيون من بينهم، ودول صدقية سابقا والآن في تقديم أطروحات حلول جميعها مناقضا للحق الفلسطيني اي للتحرير، وجوهرا خدمة الكيان لا سيما وهي تتفاخر برفع شعارات مؤهزمة أي دولة أو دولتين، نرى ونقصد بالعدو مختلف اطراف الثورة المضادة وليس الكيان الصهيوني وحده، وتحديدأ ليس نتنياهو وحده خاصة وأن كثيرون من العرب و الفلسطينيين وخاصة المشاركين في انتخابات الكنيست من فلسطينيي المنحثل 1948 العرب ذليل الكلام بتصوير أن هزيمة نتياهو في الإنتخابات انتخابت العدو سوف تنفتح باب التاريخ للفلسطينيين وحتى للعرب!

في آخر حديث جغرافي لنتياهو، وهو يمثل سياسة الكيان وليس حزبه فقط، أصر على ضم الأغوار والمستوطنات معلنا أنه لا يهتم بانتحال سلطة الحكم الذاتي وغضب الأردن . وهذه بالمناسبة مجرد جولة من جولات ضم بقايا المحتل 1967 ، الضم بالتقسيم، مما يؤكد مقولتنا المبكرة بأن إنتفاقات اوسلو



فأنا اختار الدولة الواحدة...



هي جوهرها ضم المحتل 1967 بالتدريج مرفوعة على تقديم ريع مالي مقابل تمرير مشروع سياسي تصفيو..

إن ألية قراءة لإيديولوجيا الكيان وسياسات حكوماته وأحزابه وجميع مستوطنيه القدامى والجدد لا يمكنها تجاهل بأن هذا العدو يعتبر كامل فلسطين، ولاحقا غيرها، دولة واحدة لجميع مستوطنيه.

هذا مفهوم العدو للدولة الواحدة، حيث لا يخفيه أبداً، وهذا يجعل التقرب إلى العدو “زُلفى” حتى لو أحبطت تكلم التفريبات مصطلحات من طراز: “السلام/ والسلام خيار استراتيجي، والحل العادل، وسلام الشجعان، وهجوم السلام...الخ” كل هذه ليست سوى ما نسميه “الاستقواء بالضعف”. إنه تربع بالوطن للعدو على أمل تقاسم الوطن مع عدو لا يتقاسم مع أحد. وهذا يجعل كافة هذه المشاريع مثابة إرصدة للعدو بلا مواربة. وإذا كان فريق الدولتين مأخوذ ب “أمل” التقاسم في دولتين، وهذا ما ينفية معسكر الثورة المضادة، فإن فريق الدولة الواحدة يذهب بما هو أدن من التقاسم، اي إلى ترجي قبول خداماته وعبوديته إلى عداو اقتلاعي وعنصري معاً.

يتوكلأ دُعاة الدولة الواحدة على أنها ستكون ديمقراطية وسيكون لكل شخص صوت واحد، وعلى أن اللسطينيين يُسيجون كثيراً وبالعالم يصيحبوا هم الأكثرية...الخ.وهذه في الحقيقة نكتة مسجلة تعلموها من أكاذيب التروتسك عن تجربة جنوب إفريقي فنقلوها حرفيا دون الانتباه إلى أنها لا تنطبق قط على وضعنا.(أنظر الباب المتعلق بالمقارنة بين جنوب إفريقيا وفلسطين في كتابنا 2020 Debatable Issues Polemic Critique)

لم يسقط الأرتايد في جنوب إفريقيا إلا حينما اقتنعت الشركات الغربية وحكوماتها بأن مصالحها تقتضي تغيير النظام هناك كي لا تتجزر الحركة الثورية هناك إلى حد تبني الاشتراكية. أي أن المهزوم هناك لم تكن الأقلية البيضاء بل الإمبريالية فاخترت طريقا خبيثا أوصل السود للسلطة بعد أن

خُفّحت بروجازيتهم بالفساد والتبعية والمساومة بمن فيهم ماندبلا نفسه، وبالطبع تم الإبقاء على القمم الاقتصادية بيد البيض، وهو ما اسميناه “دولة”بيضاء بوشاح أسود”. هذا ناهيك بأن الحديث عن ديمقراطية الطراز الغربي الراسمالي يأتي بعد أن أصبح الغرب هو الحالة الشمولية على صعيد معولم.

فيما يخص ”دولة يهودية“ جرى رفضها من ماركس فيما يخص المسألة القومية، ورفضها لينين صراحة، وحتى كاوتسكي كتب بوضوح:”إن مصير الدولة اليهودية في فلسطين مرتبط بمصير الإمبريالية التي إن خرجت من المنطقة ستنتهي دولة اليهود” وهذا ما كرره زبجنيو بريجنسكي عام 2006 بعد هزيمة الكيان في عدوانه ضد لبنان. وهو نفسه موقف جميع الثوريين الفلسطينيين والعرب مما يؤكد : أن المعركة معولة.

عادل سمارة

والبطبع، هذا ما يفهمه أيضاً معسكر الثورة المضادة ويعمل بوجهه تماماً.
لعل آخر طبغات “الدولة الواحدة” ما طرحه ما يسمى “التجمع العربي والإسلامي لدعم خيار المقاومة” في ورقة بعنوان “داء وصرخة من الأعماق”!

6

7

قضايا فلسفية

«صفحة خاصة من اعداد الأستاذ الأسعد الواعر»

حوار مع ميشيل فوكو

ت: الأسعد الواعر



تقديم الحوار : أجرت المجلة الثقافية الفرنسية La Quinzaine littéraire حوارا مع الفيلسوف ميشيل فوكو (-1926/1984) ونشرته في عددها الصادر يوم 16 ماي 1966. ارتايا ترجمته في هذا العدد من « منارات فلسفية » لأننا وقفنا فيه على معطيات علمية هامة جدا تتعلق بموقف فوكو من ميرلوبوتني وسارتر، وموقفه من التوافق المفتعل الذي حصل بين سارتر الماركسي وتاليهارد دو شاردان المثقف المسيحي تحت لحاف الزعة الانسانية التي يهاجمها فوكو بحدة لأنها تسعى ايجاد حلول أخلاقية مجردة ووهمية لمشاكل واقعية يحاها يوميا الإنسان الواقعي.
بدل « الفلسفات » الانسانية (Humanisme)I يطرح فوكو في هذا الحوار فلسفة النسق أو فلسفة البنية باحثا فيها عن رقيقة لوي أتوسير الذي شُن حربا داخل الحزب الشيوعي ضد انسانوية سارتر و تحالفها الواهم مع المندبين.
ترجمنا أيضا هذا الحوار لندرته ولندرة كتابات فوكو المباشرة في السياسة. فما الفرق بين فلسفات النسق التي يصنفها فوكو في دائرة العلوم الانسانية الواقعية، وبين فلسفات ميرلوبوتني وسارتر؟ ما هو مفهوم النسق في فكر فوكو حين كتب كتابه الشهير « الكلمات والأشياء » ؟ ما علاقة هذا المفهوم بالسياسة ؟ وهل نحن نفكر اليوم » بكل حرية » كما تعتقد عادة؟ تلك أسئلة يجيب عنها فوكو في هذا الحوار التاريخي... ***

سـ - **عمرك حاليا ثمانية وثلاثون سنة، أت واحد من أصغر الفلاسفة الشبان في هذا الجيل، كما كتبت الأخير « الكلمات والأشياء » إلى النظر في ما تغيرَ علينا منذ عشرين سنة في مجال الفكر. الوجوديون وفكر سارتر مثلا هما حسب رأيك في طريقهما إلى المتحرف. أنت تعيش، كما تعيش نحن، دون أن ندرک ذلك، في فضاء فكري محدّد تماما. كتاب « الكلمات والأشياء» الذي يكشف جزئيا عن هذه الجدة هو كتاب صعب، فهل لك أن تبسط لنا، رغم هات التبسيط، إجابتك عن هذا السؤال : أين أنت؟ أين نحن؟**

ج- منذ خمسة عشر سنة أدركنا بطريقة مفاجئة جدا ورَها دون أي سبب أننا نعيدون جدا عن الجيل السابق، جيل سارتر وميرلوبوتني أي جيل مجلة « الأزمة المتصورة» التي كانت قانون تفكيرنا وفوُذج وجودنا...
سـ - **عندما نقول « أحرکنا » فنحن من يعود الضمير « نحن» ؟**

ج- أقصد ب « نحن » جيل هؤلاء الذين لم يبلغوا بعدُ سنّ العشرين أثناء فترة الحرب. كنا نشعر أنّ جيل سارتر شجاع ومطعمه وشغوف بالحية والسياسة والوجود... أما نحن فلقد اكتشفنا في أنفسنا شيئا آخر وشغفا آخر، الشغف بالمفهوم وبما سأنميه « النسق ».

سـ - **بحاذا كنا يهمهم سارتر باعتباره فيلسوفا؟**

ج- إجمالا واجه سارتر عالماً تاريخيا لم تعد الوجوداية تجد نفسها فيه فاعتبرته بلا معنى. وعندما واجهه اعتبره، على التقيض من ذلك، أنه عالم ممتلئ بالمعنى. غير أنّ العبارة « يوجد معنى » كانت لدى سارتر غامضة جدا إذ كانت في نفس الوقت تدل على « المعاني » و « النظام » و « الوصفة » العبارة « يوجد معنى » تعني أن يتحتم علينا أن نعطي المعنى لكل شيء، المعنى ذاته كان غامضا جدا: لقد كان نتيجة لفك شفرات ولقراءة ولكنه كان أيضا التسنج الخلفي الذي يمرق إلى أفعالنا رغبا عنّا. بالنسبة لسارتر إذن، نحن في نفس الآن قراء المعنى وميكالوغرافيو المعنى : نكتشف المعنى ونتحرك به.

سـ - **متى توفقتَ عن الإيمان بالمعنى؟**

حصلت القطيعة في اليوم الذي بيّن لنا فيه « لفي شتراوس » داخل المجتمعات وبيّن فيه « لاكان » داخل اللاوعي أنّ المعنى ليس سوى أثر سطحي، ومجرد منعكس ضوئي، وزيّن، لأن ما يفترقنا في العمق هو « النسق » ، فهو قد وجد قبل أن نوجد نحن، وهو الذي وطد وجودنا في الزمان والمكان.
سـ - **ما الذي تقصده ب « النسق » ؟**

ما تعنيه بالنسق هو مجموعة العلاقات التي تشد بعضها البعض وتبتدل بصرف النظر عن المواضيع التي تربط بينها. فمثلا اكتشفنا أنّ الأساطير الرومانية والاسكندنافية والسّلتية ترينا آلهة وأبطالا لمحميين مختلفين عن بعضهم البعض لكن على الرغم من ذلك الاختلاف فإن النظام الذي يربطهم وتراثياتهم وتناحراتهم وحياناتهم وتعهداتهم ومغامراتهم تخضع جميعها لنسق وحيد (علما أنّ تلك الثقافات تجعل بعضها البعض)... الاكتشافات الحالية في مجال عصر ما قبل التاريخ توحى أيضا بوجود نظام نسقي سابق في وجوده على وجود الأشكال المرسومة على جدران الكهوف بل ومتحمك فيها... تعرفين كذلك أنّ في مجال البيولوجيا يوجد الشريط الصبغي الذي يحمل البيانات الجينية التي تسمح للكائن القادم بالتطور، هو يحملها كشفرة أي مصالحة ماركس مع تيلاهارد دو شاردان (هي مشاريع غارقة في الإنسانية،



«صفحة خاصة من اعداد الأستاذ الأسعد الواعر»

حوار مع ميشال فوكو



د. رايس زاووي

النظام المعارض للعلوم الإنسانية ميشال فوكو Michel Foucault

الآن أتوسير داخل الحزب الشيوعي ككل تلك الأساطير، فضحها كما يفعل المنظلة الإنسانية... علينا أن نفضح

التيار الشاردينو- ماركسي.

س- ما المدى الذي يلفه هذا التفكير؟

ج- لقد تغفلت تلك الاكتشافات

بحدة كبيرة في هذه المجموعة غير المحددة بدقة والمتكونة من النخب الفرنسية التي تشمل جامهري الطلبة، والأساذة دون سنّ الشيوخوخة. من البدهيي جدا أن توجد مقاومات في هذا الميدان، من جانب العلوم الانسانية خاصة. إنّ إقامة الدليل على أننا لا نغادر أبدا العلم والنظري لهي عملية صعبة في العلوم الانسانية (في الأدب خاصة) الا إذا تعلق الأمر بالمنطق أو بالرياضيات.

سـ - **أين ولدت هذه الحركة؟**

ج- كان ينبغي أن تتوفر تلك الترجسية الأحادية لدى الفرنسيين ليتخلوا، كما يفعلون ذلك دائما، أهم أصحاب اكتشاف كامل هذا الحقل من المشاكل.

تطورت هذه الحركة بأمريكا وأقلترا وفرنسا بالأعمال التي أنجزت مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى في البلدان السلافية والألمانية. لكن حين كانت

التقدية المحدثة « موجود في الولايات المتحدة منذ أربعين سنة بتناميها وكماها، وحين وحين أنجزت جميع الأبحاث في المنطق بالمملكة البريطانية منذ بضع سنين كان عدد الأسنئين الفرنسيين لا يزيد عن عدد اصابع اليد...

لدينا في فرنسا وعي ما بالثقافة، وعي غريب يسمح بحمل شارل ديقول

محمل المثقف...

سـ - **ما حدث هو أنّ الإنسان الطيب قد أحسّ بأنّ الركب قد فاته... فهل معنى ذلك أنّ الثقافة العامة السجية قد حُكّم عليها بالزوال لكي لا نرى من هنا فصاعدا سوى المختصين؟**

ما صدر ضده الحكم ليس الإنسان الطيب بل تعلينا التاوي (الذي تقوده

الانسانوية)، لم نتعلم أبدا الاختصاصات الأساسية التي تسمح لنا بفهم ما يجري عندنا وخاصة ما يجري في أماكن أخرى... إن كان لدى الإنسان الطيب اليوم الانطباع بالثقافة الغربية (culture barbare) المكتنفة بالأرقام وبالأحرف الأولى للكلمات فلأن مرّد ذاك الانطباع هو مرّدوحيد : يعود نظامنا التعليمي إلى القرن التاسع عشر ولا زلنا نرى داخله اليبسيكولوجيا المسججة والانسانوية التي عفا عليها الزمن، وأصناف الذوق، والفؤاد الأدميّ... لا يعود الخطأ هنا

إلى ما يجري حولنا أو إلى الإنسان الطيب. فإذا كان لديه الانطباع بأنه لم يعد يفهم شيئا فلأن الخطأ تتحمله منظومة التعليم.

سـ - **لكنّ كل ذلك لا ينعنا من أنّ نرى أنّ هذا الشكل الجديد للتفكير، سواء كان مررقما أو غير مرقم، هو شكل بهت ومجرد جد.**

ج- مجرد؟ سأجيب بما يلي : إنّ الإنسانية هي المجردة فكل صرخات القلب هذه، وكل هذه المناداة بالشخصية الانسانية وبالوجود هي المجردة أي إنها منقطعة عن عالم العلم والتقنية وهو عالما الواقعي. ما يصطنع أغلب من الانسانية هو تحولها في الوقت الحالي إلى ستر لاجئ ألها الفكر الرجعي وتكوّنت وراه تحالفات شيطانية وغير منطقية : يريدون مثلا خلق حلف بين سارتر وتيالهارد مثلا... تحت أي اسم يجري مثل هذا الأمر؟ هل يجري باسم الإنسان؟ لا يتمثل الجهد الذي يبذله اليوم أناس جيئنا في المطالبة بالانسان بدل المطالبة بالعلم والتقنية ولكنه يتمثل في بيان أنّ فكرنا وحياتنا وكيفية وجودنا بل قل كيفية وجودنا اليومية هي أجزاء لنفس التنظيم النسقي، وهي تنتمي إلى نفس مقولات عالم العلم والتقنية. ما هو مجرد هو « القلب الانساني » في حين أنّ بحثنا واقعي لأنه يقوم ربط الإنسان بالعلم واكتشافاته وعالمه.

سـ - **أجلا، أعتقد ذلك...**

ج- سأجيبك بأنه لا ينبغي الخط بين الدفاء الفاتر للتسويات وبين البرودة التابعة للمشاعر الحقيقية. إنّ الكتاب الذين يروقون لنا، نحن النسقيون « الباردون » هم صاد ونبتهشة للذين قالا « أشياء سيئة عن الإنسان»، أمّ يكونا كذلك أكثر الكتاب حساسة؟



حوار العدد مع الأستاذة جنات بن عبد الله

تلعب السياسة الجبائية دورا هاما في تنفيذ استراتيجية التنمية ومنوال النمو الذي يقع وضعه سنويا في إطار الميزان الاقتصادي الذي يشكل مرجعية لإعداد مشروع ميزانية الدولة وقانون المالية.

حاورته: سعدية بن سام



الاقتصادية والتجارية الدولية. هذه القواعد والمبادئ أرسنها الشركات العالمية ومتعددة الجنسيات،من خلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة، لحماية مصالحها في الدول التي تستثمر وتتسبب فيها في إطار ما اصطلح على تسميته بالعملة المالية والاقتصادية التي تفرض إزالة كل الحواجز أمام تنقل راس المال وتؤتمن له تحويل أرباحه دون قيود ولا رقابة. وقد استطاعت هذه الشركات متعددة الجنسيات توظيف الاتفاقيات لصالحها من خلال الدول المصنعة والمتقدمة وفي غياب البلدان النامية التي فرضت عليها هذه القواعد والمبادئ، وكل محاولة لرفضها أو عدم تطبيقها تعرضها لعقوبات دولية باعتبار أن اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة لها صبغة الزامية على خلاف بقية الاتفاقيات الدولية.

ولضمان هذا التوجه ومن أجل توحيد كل التشريعات والقوانين لخدمة مصالح رأس المال العالمي والشركات متعددة الجنسيات، باعتبار أن العالم قرية، كان لزاما على البلدان الوطنية مراجعة قوانينها أو إلغاءها وإقرار قوانين تستند الى قواعد ومبادئ النظام التجاري متعدد الأطراف للمنظمة العالمية للتجارة وذلك على حساب مصالح الاستثمار الوطني والشركات الوطنية. ويأخذ هذا التوجه منحرجا خطيرا في البلدان النامية مثل تونس باعتبار أن اقتصادها لا يزال مشا وفي حاجة الى دعم الدولة الوطنية وغير قادر على منافسة الشركات العالمية.

ما نحاول التنبيه اليه هو أن الدخول في مفاوضات من هذا القبيل يهدد سيادتنا الوطنية واقتصادنا الوطني باعتبار عاملين اثنين يمثل الأول في عنصر عدم التكافؤ في النمو حيث لا مجال لمقارنة الاقتصاد التونسي باقتصاديات البلدان الأوروبية التي عززت قدراتها الإنتاجية قبل سنة 1995 تاريخ بعث المنظمة العالمية للتجارة بفضل سياسة الحماية التي كان مسموحا بها قبل ذلك التاريخ، أما العامل الثاني فيتمثل في عدم التكافؤ التنفدي. فالأورو هو عملة بلدات في الأسواق العالمية أما الدينار التونسي فهو عملة وطنية والاقتراض والقرض بالعملة الصعبة يشكل أحد مظاهر التبعية متعددة الأشكال للخارج مما يجعل قرارنا الوطني رهن الجهات الخارجية الممولة.

ويخصوس مشروع مجلة المياه الذي سيرمر قريبا الى مجلس نواب الشعب، ولا زلنا ننبه لمخاطر في ظل التعميم المنموذج الذي مارسته حكومة الشاهد،يندرج هذا المشروع في إطار استكمال المنظومة

8

لعقد الامتياز، و59 بالنسبة للزمة، و60 بالنسبة لكراس الشروط، وخص الفصل 62 لعقود الاستثمار.

هذه الصيغ هي شكل من أشكال تفويت السلط العمومية في إدارة المرفق العمومي للقطاع الخاص وتحديد الشركات العالمية بما يهدد بارتفاع أسعار الخدمات المائية وتهديد المقدرة الشرائية للمواطن وتهديد القطاعات التي يشكل الماء أحد مدخلاتها الأساسية.

- انتقدت توجهات حكومة الشاهد فيما يتعلّق بالقطاع الفلاحي. فأين تجدين التقصير وماذا تعييبين على توجهات الحكومات المتعاقبة بعد الثورة؟

بعد الثورة كنا ننتظر أن يتم القطع مع منوال التنمية الذي تم ارساؤه في سبعينات القرن الماضي والذي يقوم على الاستثمار الأجنبي المباشر والتمويع حسب التقسيم العملي للعمل وحسب الميزات التفاضلية التي تتوفر في تونس حسب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمتمثلة في اليد العاملة الرخيصة. ومن هذا المنطلق جاء قانون الاستثمار لسنة 1972 الذي فتح الأبواب أمام انتصاب الشركات الأجنبية في قطاع الصناعات المعملية وخاصة قطاع النسيج والملابس الجاهزة وقطاع الصناعات الميكانيكية والكهربائية في إطار المناولة وقد استفادت هذه القطاعات والشركات غير المقيمة بكل الامتيازات المالية والجبائية الى جانب القطاع السياحي وذلك على حساب القطاع الفلاحي الذي شهد تهميشا ممنهجا تعمق بعد إقرار برنامج الإصلاح الهيكلي للاقتصاد الوطني الذي فرضه صندوق النقد الدولي في سنة 1986 الذي يركز على تحرير القطاعات بما في ذلك القطاع الفلاحي.

وفي الوقت الذي عملت البلدان الأوروبية على تعزيز موقع القطاع الفلاحي بتوفير كل أشكال الدعم والحماية باعتبار أن اتفاقية «الغات»،التي كانت تنظم المبادلات التجارية قبل سنة 1994 تاريخ انشاء المنظمة العالمية للتجارة، لا تتعرض للقطاع الفلاحي ولم تقرض دفع الدعم عنه، انخرطت تونس وعديد البلدان الأفريقية التي طبقت برنامج الإصلاحات لصندوق النقد الدولي في منتصف ثمانينات القرن الماضي، في تحرير القطاع وتخلي الدولة تدريجيا عن دعمه في غياب استراتيجيات النهوض به.

وبعد توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي لسنة 1995 واصلت الدولة في تهميشها للقطاع الفلاحي رغم التزامها بتحريره تدريجيا ورفع كل القيود الجمركية أمام المنتوجات الفلاحية الأوروبية للنفاذ الى السوق التونسية عوض وضع سياسة فلاحية واضحة تقوم على تقوية منظومات الإنتاج من خلال توفير التمويل وتمثين البذور وتأهيل الأراضي الفلاحية وتسوية تشتت الملكية وغيرها من الصعوبات التي تحول دون تطور القطاع.

بعد الثورة واصلت الحكومات على نفس النهج. إلا ان الشاهد أطلق الرصاصة الأخيرة على القطاع الفلاحي بتمرير قانون السلامة الصحية وجودة المواد الغذائية وأغذية الحيوانات ومصادقة مجلس نواب الشعب عليه يوم الثلاثاء 12 فيفري 2019.

خظورة هذا القانون تكمن في الجهة التي فرضته وفرضت معه شروطا تخدم مصالح شركاتها وبالتالي لا تراعي مصلحتنا الوطنية. فهو يعتبر من الالتزامات المحمولة على الجانب التونسي في اطار الالية الأوروبية للدعم المالي الكلي وأيضا ضمن التزامات برنامج دعم الاندماج الاقتصادي التونسي لسنة 2009 والتي تأخذ في الاعتبار متطلبات اتفاقية التبادل الحر الشامل والمعقم مع الاتحاد الأوروبي التي تستند لأحكام النظام التجاري متعدد الأطراف للمنظمة العالمية للتجارة وتحديدات اتفاقية تطبيق تدابير الصحة والصحة النباتية والمعوقات الفنية أمام التجارة للمنظمة العالمية للتجارة والتي صادقت عليها بلادنا بالانضمام اليها بموجب القانون عدد 6 لسنة 1995 المؤرخ في 23 جانفي 1995. ليشكل هذا القانون الاطار التشريعي لتحرير القطاع الفلاحي.

ولئن يكسب البعد الفني في هذا القانون المتعلق بمعايير السلامة الصحية لعمل أجهزة الرقابة على كامل السلسلة الغذائية بما في ذلك مرحلتي التوريد والتصدير أهمية، فإن الجانب المتعلق بالمبادلات التجارية بين تونس والاتحاد الأوروبي، يشكل خطورة على مستقبل الصادرات التونسية من المنتوجات الفلاحية والغذائية.

فهذا القانون الذي هو ذو طابع اجباري وإلزامي على المستغلين المطالبين بالامتثال له في أجل أقصاه سنتين بعد صدوره بالرائد الرسمي حيث أن كل مخالف يعرض نفسه لتبعيات قضائية، يشكل تهديدا حقيقيا للقطاع الفلاحي في هذه المرحلة التي يعاني فيها القطاع صعوبات تعود الى غياب سياسة فلاحية حقيقية واستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار التحولات الداخلية والإقليمية والمناخية.

ولئن يهدف القانون الى حماية صحة المواطن وتطوير الاقتصاد الوطني،

9



فهو لا يخلو أيضا من مخاطر حقيقية تهدد صادراتنا الفلاحية، وتمهد لانتصاب الشركات الأوروبية والعالمية في مجال الصناعات الغذائية وصناعة الادوية وكل المجالات المرتبطة بالقطاع الفلاحي والصيد البحري والغابات.

- رفض مجلس النواب يوم 5 مارس 2020 التصويت على مشروع قانون أساسي يتعلق بالانفاق المؤسّس لمنطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية، كيف تجد الأستاذة جنات بن عبد الله، هذا القرار؟ وما هي أسبابه وتداعياته في رأيك؟

صحيح رفض مجلس النواب المصادقة على مشروع القانون الأساسي المتعلق بالاتفاق المؤسس لمنطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية ولكن اسقاط هذا المشروع جاء على أساس حسابات سياسية ضيقة بعيدة عن حقيقة التهديدات على اقتصادنا الوطني. فاتفاقية منطقة التبادل الحر القارية الإفريقية جاءت بناء على قرار القمة الثامنة عشر لرؤساء دول وحكومات الاتحاد الأفريقي بشأن «تعزيز التجارة البينية الإفريقية» المنعقد سنة 2012 و «الأجندا 2063 « التي تعتبر اطارا استراتيجيا لما يسمى بالتحول الاقتصادي والاجتماعي للقارة الافريقية للخمسين سنة القادمة والتي تم وضعها في سنة 2013.

وقد تم تصميم وصياغة هذه الاتفاقية برعاية مفوضية الاتحاد الإفريقي وتحت اشراف اللجنة الاقتصادية لإفريقيا التابعة للأمم المتحدة وبالتعاون الفني مع الاتحاد الأوروبي، والوكالة الامريكية الألمانية للتعاون الدولي، والوكالة الامريكية

للتنمية الدولية، وإدارة التنمية الدولية التابع للحكومة البريطانية، ودولة السويد. وقد تولى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية «الأونكتاد» الإشراف على تكوين المفاوضين للبلدان الأعضاء في هذا التكلل الاقتصادي الأكبر في العالم منذ انشاء المنظمة العالمية للتجارة سنة 1994 بمراكش والذي يضم 1.2 مليار نسمة.

ما نؤاخذها على وزارة التجارة أنها لم تقدم الاتفاقية على أساس دراسات علمية وموضوعية تأخذ بعين الاعتبار درجات النمو في البلدان الأعضاء، وطبيعة التحديات التي تواجهها والتي يمكن أن تشكل تهديدا لجدوى هذه المنطقة التجارية الحرة التي يتطلب نجاحها شروطا اعترفت بها وأقرتها أحكام اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة التي تخضع لها مناطق جمركية فتح المجال أمام تدمير كل منظومات الإنتاج باعتبار أن المنافسة



في هذا السياق من قبل الجهات الإقليمية المعنية وهي عديدة وخاصة تلك التي أنجزتها اللجنة الاقتصادية لإفريقيا والتي تتناول فيها تحاليل موضوعية تفر فيها بإيجابيات وتهديدات رفع الحواجز الجمركية والتنظيمية أمام انسياب السلع والبضائع على الاقتصاديات الافريقية، وتقديم هذه الدراسات للسادة النواب لاعتمادها والاستئناس بها لاتخاذ قرار المصادقة أو الرفض أو التأجيل لمزيد النظر والتعمق.

وما يلفت الانتباه أيضا أن المفاوضات تمّت بعيدا عن تشريك المنظمات المهنية والنقابية والمجتمع المدني وهو ما يدفع ل طرح تساؤلات خطيرة في هذا الباب والإصرار على التعميم على الموضوع.

فقد كشفت عديد الدراسات حول تداعيات منطقة التبادل الحر القارية الإفريقية أن نسبة الفقراء بعنوان الدخل الحقيقي سترتفع في نصف البلدان الأفريقية الأعضاء، كما سيتعمق عجز ميزانات عديد البلدان باعتبار إلغاء المعاليم الديونائية التي كانت توظف على التوريد وتشكل مصدرا هاما في موارد ميزانياتها.

وفي نفس السياق أكدت الدراسات أن هذه الاتفاقية القارية الإفريقية ستفسح المجال أمام توسع رقعة انسياب البضائع والسلع وخدمات الشركات الأوروبية وخاصة الفرنسية التي تستحوذ على تجارة الألباس والمعادن والمنتجات الفلاحية كالكاكاو ...الى جانب الشركات العابرة للقارات التي تقف وراء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة.

- ترتفع الجبائية في تونس بسنق متسارع يثقل كاهل المواطن ويعسق أزمته الاقتصادية. فهل تجدين الأمر طبيعيا في بلد من المفترض أنه قام بثورة؟

سؤال وجهه ويطرحه المواطن يوميا. واسمحي لي أن أجيب كمختصة في الاقتصاد والتجارة الدولية وليس كمختصة في الجبائية. في هذا السياق تلعب السياسة الجبائية دورا هاما في تنفيذ استراتيجية التنمية ومنوال النمو الذي يقع وضعه سنويا في إطار الميزان الاقتصادي الذي يشكل مرجعية لإعداد مشروع ميزانية الدولة وقانون المالية.

وتضبط السياسة الجبائية بناء على متطلبات المرحلة وطبيعة التحديات المطروحة على الاقتصاد الوطني واستجابة للخيارات الاقتصادية والاجتماعية للدولة.

ولئن تتعاطى الحكومات اليوم في بلادنا مع السياسة الجبائية كمورد أساسي لميزانية الدولة فقد كان ذلك على حساب الأهداف الاقتصادية والاجتماعية التي من المفروض أن تعمل الدولة على تحقيقها من خلال التأثير على قرارات الاستهلاك والإنتاج والاستثمار من خلال توظيف السياسة الجبائية.

وفي الوقت الذي تنتظر فيه جميع القطاعات الاقتصادية من السياسة الجبائية، من خلال الامتيازات الجبائية والمالية، التخفيف من العبء الضريبي لتدعيم قدراتها الإنتاجية والتشغيلية والتصديرية، تصطمم في كل قانون مالي بالترفيع في الضغط الجبائي. وقد تحولت هذه السياسة الى عقيدة لدى الحكومات المتعاقبة بعد الثورة، ولكن هذا لا يعني أن الأمر كان مختلفا قبل الثورة.

فبرامج الإصلاحات الهيكلية التي تم إقرارها منذ سنة 1986 في بلادنا كانت تقوم أيضا على إصلاحات جبائية تعمل على توفير

موارد مالية لميزانية الدولة بعيدا عن دورها في تدعيم القدرات الإنتاجية وتوجيهها حسب متطلبات الاقتصاد الوطني، وهنا نذكر الأداء على القيمة المضافة الذي تم إقراره كبديل عن المعاليم الجمركية التي كانت تشكل قبل سنة 1995 تاريخ التوقيع على اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي لسنة 1995 ، أهم مصدر لتمويل ميزانية الدولة حيث تم تفكيك هذه المعاليم في اتجاه إلغاءها وتعويمها بالأداء على القيمة المضافة. بمعنى آخر ما كان يوظف على المنتوجات الموردة من معاليم جمركية كإجراء لحماية نسجينا الاقتصادي ويوجه لتعبئة ميزانية الدولة تم الغاؤه وتعويضه بأداء غير مباشر يدفع من جيب المواطن. وبذلك تحولت السياسة الجبائية إلى أداة لتدوير المقدرة الشرائية للمواطن، وإقرار الأداء على القيمة المضافة كبديل عن معاليم جمركية فتح المجال أمام تدمير كل منظومات الإنتاج باعتبار أن المنافسة

منظرة آري



بين المنتوجات الوطنية والمنتوجات الأجنبية أصبحت في سوقنا الداخلية.

اليوم ومع إصلاحات صندوق النقد الدولي أصبح الترفيع في الضرائب أحد شروط تسريح أقطاب قرض «تسهيل الصندوق الممدد» بقيمة 2.9 مليار دولار والذي تنتظر حكومة الفخفاخ قسطه السادس.

من هذا المنطلق لا يمكن الحديث اليوم عن تغيير في السياسة الجبائية معزل عن برامج صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

- كيف تقيّم الأستاذة جئات بن عبد الله الإعلامية الأداء الإعلامي اليوم، وخاصة في التعاطي مع الأحداث الكرى؟

سأحاول الإجابة ولكن في صيغة أفكار نطرحها لتكون منطلقا، ربما في يوم من الأيام، للتفكير في استراتيجية إعلامية حقيقية.

قبل الثورة عملت الأنظمة السياسية على قمع كل فكر حر يعمل من أجل حقوق الشعب التونسي. ومثلما تم تدمير الاقتصاد الوطني في إطار ما يسمى بالإصلاحات الهيكلية الكبرى التي تفرضها المؤسسات المالية الدولية والاتحاد الأوروبي، كان تدمير العقل التونسي أحد محاور هذه الإصلاحات. ومثلما تم تهيمش الساحة الأكاديمية والفكرية والثقافية، تم تهيمش الساحة الإعلامية حتى تكون في خدمة النظام وكل من يرفض ذلك عليه بالانزواء لضمان مصدر دخله باعتبار أن سياسة التجويع كانت سلاحا في أيادي النظام.

في هذا المناخ الخانق لم تستطع الساحة الإعلامية إنتاج صحيين يحملون قضية شعب رغم وجود أقلام جريئة وقديرة، ولكن كانت تظهر لتختفي بعد ذلك.

بعد الثورة كنا نأمل في القطع مع هذه التبعية المقيتة للاتحاد الأوروي وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي

وبرامج الإصلاح التي يروجونها

في بلدنا والتي تحمل مشروعا مجتمعيا لا علاقة له بواقعنا وتحدياتنا الحقيقية، وبطبيعة الحال تلجأ هذه الجهات الى الاعلام للتسويق لهذه البرامج بطرائق ناعمة ومغرية يلعب فيها التمويل، ونقصد هنا تمويل المؤسسات الإعلامية المكتوبة والمسموعة والبصرية والإلكترونية، دورا مركزيا في تقديم ضمانات لهذه المؤسسات تقبها من شبح الإفلاس، وتبعا لذلك يتم استدراج الاعلمين في هذا المسار. فمنهم من ينخرط بوعي باعتباره يحمل أفكار هذه الجهات ويراهنا منقدا لتونس من التخلف، ومنهم من ينخرط في المسار في غياب

مسار مختلف يؤمن له مصدر دخل فار، ومنهم من يختار لنفسه مسارا ثالثا محفوقا بالمتابعب والصعوبات.

- والسيدة جئات بن عبد الله أين تضع نفسها؟

لقد اخترت المسار الثالث. فبعد الثورة فتح مناح الحريات في تونس أماننا افاقا جديدة للتعبير عن الرأي المخالف للسلطة. وهذا التوجه يفرض عليك البحث والتدقيق والتعمق في خيارات الحكومات وسياساتها مع التحلي بالنزاهة الفكرية والموضوعية العلمية لرفع الستار على سياسات التضليل والتعتيم التي انخرطت فيها كل الحكومات المتعاقبة بعد الثورة لتتمرير قوانين لم تسهر على تصميمها وصياغتها بل فرضت عليها بطريقة ناعمة من قبل الجهات الممولة الخارجية لتبنتها وتعمل على التسويق

10

في الذكرى الرابعة والستين لعيد الاستقلال (20 مارس 20/1956 مارس 2020)

ليطمئنّ بال المشككين في وثيقة الاستقلال !



د. عادل بن يوسف

وعاد على بدء

يُحيي التونسيون يوم 20 مارس من كل سنة ذكرى عيد الاستقلال، الطارىخ إمضاء برتوكول الاستقلال» بين رئيس الحكومة التفاوضية، Pierre Pinneau، وذلك بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية «Le Quai d’Orsay»، و بموجب هذا البروتوكول انتهى العمل بمعاهدة باردو أو «معاهدة قصر السعيد» (كما تعرف في الوثائق الرسمية) المبرمة بين الجزائر «بريار» Bréart» القائد العام لجيش الاحتلال (عن دولة الجمهورية الفرنسية) وبين محمد الصادق باي (عن الدولة

الحسنية)، يوم 12 ماي 1881 في مجال العلاقات بين البلدين وأحرزت تونس رسميا على استقلالها التام من فرنسا بعد 75 سنة من الظهور والهيمنة الأجنبية على البلاد في جميع الميادين.

وفي احتفال التوسّين سنويا بهذه الذكرى، اعتراف منهم بتضحيات جميع المقاومين والمناضلين امتداد لثلاثة أرباع قرن بدورهم والتصدي للمستعمر الفرنسي بالفكر والقول والفعل والسلاح...، ووفاء منهم لأرواح شهداء الوطن الذين ضحوا بالغالي والنفس من أجل انتزاع استقلال بلادهم من المستعمر الغاشم وتجسيم مظاهر السيادة الوطنية على أرض الواقع.

لكن على امتداد أكثر من نصف قرن - لا سيّما خلال فترة حكم بن علي (2011-1987) - تمّ توظيف هذه المناسبة الوطنية سياسيا وخاصة حزبيا، حيث غالبا ما كان يتمّ تحويلها إلى مناسبة لاستعراض فضائل وإنجازات «دولة الاستقلال» ثمّ بالخصوص إنجازات «العهد الجديد» والتأكيد على احترامه لجميع رموز المقاومة والحركتين الوطنية والنقابية من مختلف الأجيال دون استثناء، وتحويل الدستوريّين منهم إلى «أيقونات» لإثبات - ولو رمزيا - شرعيّة النسب التاريخي للتجمّع الدستوري الديمقراطي، وحرصه على تواصل النضال الوطني وجهود الحركة الإصلاحية بتونس من «خير الدين إلى زين العابدين».

و بعد 14 جانفي 2011 وزوال النظام السابق، تعالت للأسف بعض الأصوات المشكّكة في وثيقة الاستقلال منّمة بورقيبة وقيادي الحزب الدستوري الجديد بالتسرّ عن نصّ «الوثيقة الأصلية» واتهامهم صراحة بتعمّد بورقيبة «تقسيب» بعض فضائلها أو فقرتها عن العموم وقد حدا ببعضهم وفي مقدمتهم رئيسة هيئة الحقيقة والكرامة إلى الحديث منذ مارس 2015 عن وجود اتفاقية «سرّية» مكتمّلة لها لم يتمّ الكشف عنها إلى حدّ اليوم وفي مقدمتها الاتفاقيات المتصلة بالثروات المنجمية والمحروقات وعقدتها لندوات ولقاءات إعلامية مع بعض المؤرخين ذوي التوجهات والميولات المعروفة والمتلفظين عن التاريخ... كامل شهر مارس 2018 ، وغيرها من الاتّهامات الخطيرة الأخرى التي دفعت مدير مؤسّسة الأرشيف الوطني، الأستاذ الهادي جلاب إلى عرض الوثيقة الأصلية لبرتوكول الاستقلال للعموم بيهو مؤسّسة الأرشيف الوطني لأيام بداية من 06 أفريل 2013 وتسليم نسخة منها إلى رئيس الجمهورية التونسية !

وبهذه المناسبة الوطنية العزيزة على التونسيّين سنحاول من خلال هذه الورقة التعريف بطروف إبرام برتوكول الاستقلال والقيام بقراءة في مضمونه ثمّ استخلاص العبرة من جدوى الاحتفاء به مع إدراج نسخة من الوثيقة الأصلية المتوفّرة لدينا والتعليق عليها وإرفاقها بصورة من حفل التوقيع بين الطرفين، الفرنسي والتونسي.

من الاستقلال الداخلي إلى الاستقلال التام: المخاض العسير

بعد أكثر من سنتين من انطلاق المقاومة المسلّحة للمستعمر في 18 جانفي 1952 في الجبال والأرياف والقرى والمدن...، أيقنت فرنسا على ضوء الهزيمة التي منبتت بها في معركة «ديان بيان فو» « بالهند الصينية يوم 8 ماي 1954 أنه لا سبيل للمماطلة وأنّ ساعة «الرجيل» عن تونس قد دقّت رغم معارضة حزب المغمّرين لذلك وتواصل مسلسل الغنبيات والاحتلالات والمضادّة ونقل العصيلة البشرية من الجانبين، التونسي والفرنسي بين 1952 و 1954.

وتأكيدا لذلك أوضح رئيس الحكومة الفرنسية الجديد «بيار منداس فرانس»«Pierre Mendès France» مشروعاً أمام مجلس الوزراء الذي أنام مساء 30 جويلية 1954. وقد اقتصر البلاغ الصادر إثر اجتماع المجلس على ذكر قرار الحكومة الفرنسية بأنّ « تعطي نفسا جديدة للعلاقات التونسية الفرنسية »، دون أن يفصح عن محتوى المشروع وذلك بغاية تجنّب ردود فعل الجالية الفرنسية بتونس ومانعريها في كل من فرنسا والجزائر.

وفي زيارة فجنئية أعدّت في كنف السرّية، حلّ رئيس الحكومة الفرنسية يوم 31 جويلية 1954 على رأس وفد هام بتونس وأعلن في خطاب رسمي أمام محمد الأمين باي بقرطاج عن الاستقلال الداخلي لتونس. وعلّى إثر هذا الخطاب شكّلت حكومة تفاوضية أولى برئاسة الطاهر بن عمّار الذي تحوّل إلى باريس للتفاوض مع الحكومة الفرنسية بالتنسيق مع الزعيم الحبيب بورقيبة الموجود بالمنفى بإحدى ضواحي باريس منذ ماي 1954 (ومن قبلها بالجانب التونسي منذ 18 جانفي 1952 ثمّ بقرطبة فجزيرة جالطة فجزيرة قروا بفرنسا).

وقد أسفرت المفاوضات عن إبرام رئيسة الحكومة التفاوضية الثانية، الطاهر بن عمّار لاتفاقيات الاستقلال الداخلي في 03 جوان 1955 (بعد يومين من عودة بورقيبة إلى تونس والاستقبال الجماهيري الحاشد الذي حضى به في ميناء حلق الوادي في عزّ جوان 1955) التي رفضها الزعيم صالح بن يوسف من جينيف ودعا إلى مقاطعتها فور عودته إلى تونس في 13 سبتمبر 1955 وجاهر بذلك في مؤتمر «كلمة دول عدم الانحياز»

11

أول لقاء بين قادة الجبهة

باعتبارها «خطوة إلى الوراء» وأنّ استقلال تونس لا معنى ما دام المغرب الأقصى

وخاصّة الجزائر، التي كانت في أوج ثورتها المسلّحة ضد المستعمر الفرنسي منذ 1 نوفمبر 1954 لم يحصلا على استقلالها.

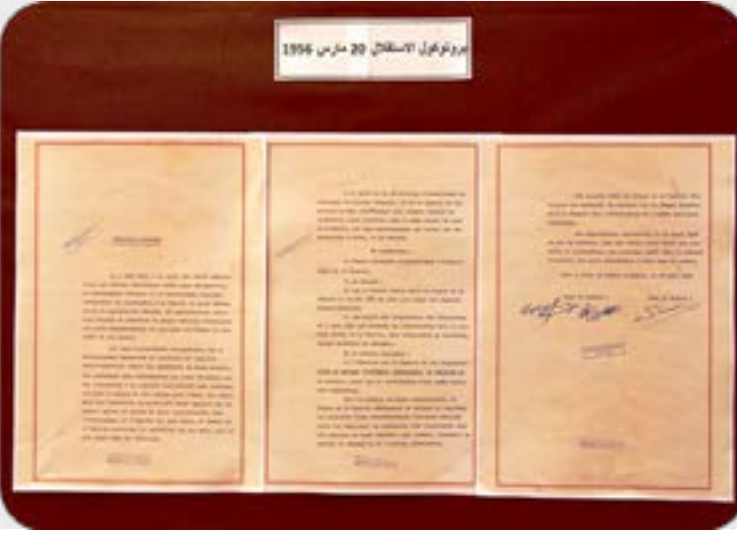
كما نصّت اتفاقيات جوان 03 1955 على بقاء الأمن والدفاع والخارجية بيد فرنسا لمدة لا تقلّ عن 25 سنة... وغيرها من المسائل الترتيبية لفائدة فرنسا عامة. ولعلّ ضوء هذه التطوّرات تقسمت البلاد إلى شقّين: شقّ الأمانة المؤبّد لصالح بن يوسف وشقّ الديوان السياسي المؤبّد للحبيب بورقيبة كانت نتائجها دخول البلاد في دوامة الصدامات وحمّى التنكيل والإيقافات والاعتقالات والتصفيات الجسديّة من الجانبين. فكان من الضروري حسم هذا الخلاف بين فقاء الحزب الواحد. التأم «مؤقر الحسم» للحزب بمدينة صفاقس بين 15 و 18 نوفمبر 1955 وأبّد موقف بورقيبة ومنحه ثقته بتأييد اتفاقية الاستقلال الداخلي باعتبارها «خطوة نحو الاستقلال التام». ونتيجة لذلك أثر صالح بن يوسف الخروج من البلاد والاستقرار بعمر نتيجة دعم الرئيس جمال عبد الناصر له. أمّا أنصاره فقد عرفوا الملاحقة والتنكيل والتعذيب والمحاكمات... من قبل المحكمة الشعبية ومحكمة القضاء العليا إلى غاية اغتياله في 12 أوت 1961 بمدينة فرنكفوت بألمانيا.

وفي الأثناء تمّ الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والباي على تشكيل حكومة تفاوض ثانية يوم 17 سبتمبر 1955 بقيادة الطاهر بن عمار لكنّ نسق المفاوضات كان بطيئا بسبب عدم الاستقرار السياسي بفرنسا. وفي 31 جانفي 1956 تحوّل الطاهر بن عمّار إلى باريس للباحث مع رئيس الحكومة الفرنسية الجديد «غي مولي «Guy Mollet» (ال كاتب العام للحزب الاشتراكي). وفي 3 فيفري 1956 التحق به الزعيم الحبيب بورقيبة وتمّ الاتفاق على استئناف المفاوضات في المطالب التونسية. افتتحت المفاوضات بين الطرفين يوم 29فيفري وتعرّث لمدة 18 يوما نتيجة مماطلة السلطات الفرنسية بسبب رفض حزب المغمّرين أو غلاة الاستعمار التفاوض في مطلب بتونس الاستقلال جملة وتفصيلا.

وبينما كان الوفد التونسي يتفاوض مع الحكومة الفرنسية، كان الملك محمد الخامس يتفاوض بباريس مع مسؤولي وزارة الخارجية الفرنسية وتوجت سلسلة اللقاءات بين الطرفين بإبرام اتفاقية 02 مارس 1956 القاضية باعتراف فرنسا باستقلال المغرب الأقصى وهو ما زاد في دفع معنويات الوفد التفاوضي التونسي و إبرام اتفاق مماثل مع الطرف الفرنسي.

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري



عند توقيع الوثيقة

باعتبارها «خطوة إلى الوراء» وأنّ استقلال تونس لا معنى ما دام المغرب الأقصى

وخاصّة الجزائر، التي كانت في أوج ثورتها المسلّحة ضد المستعمر الفرنسي منذ 1 نوفمبر 1954 لم يحصلا على استقلالها.

كما نصّت اتفاقيات جوان 03 1955 على بقاء الأمن والدفاع والخارجية بيد فرنسا لمدة لا تقلّ عن 25 سنة... وغيرها من المسائل الترتيبية لفائدة فرنسا عامة. ولعلّ ضوء هذه التطوّرات تقسمت البلاد إلى شقّين: شقّ الأمانة المؤبّد لصالح بن يوسف وشقّ الديوان السياسي المؤبّد للحبيب بورقيبة كانت نتائجها دخول البلاد في دوامة الصدامات وحمّى التنكيل والإيقافات والاعتقالات والتصفيات الجسديّة من الجانبين. فكان من الضروري حسم هذا الخلاف بين وفقاء الحزب الواحد. التأم «مؤقر الحسم» للحزب بمدينة صفاقس بين 15 و 18 نوفمبر 1955 وأبّد موقف بورقيبة ومنحه ثقته بتأييد اتفاقية الاستقلال الداخلي باعتبارها «خطوة نحو الاستقلال التام». ونتيجة لذلك أثر صالح بن يوسف الخروج من البلاد والاستقرار بعمر نتيجة دعم الرئيس جمال عبد الناصر له. أمّا أنصاره فقد عرفوا الملاحقة والتنكيل والتعذيب والمحاكمات... من قبل المحكمة الشعبية ومحكمة القضاء العليا إلى غاية اغتياله في 12 أوت 1961 بمدينة فرنكفوت بألمانيا.

وفي الأثناء تمّ الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والباي على تشكيل حكومة تفاوض ثانية يوم 17 سبتمبر 1955 بقيادة الطاهر بن عمار لكنّ نسق المفاوضات كان بطيئا بسبب عدم الاستقرار السياسي بفرنسا. وفي 31 جانفي 1956 تحوّل الطاهر بن عمّار إلى باريس للباحث مع رئيس الحكومة الفرنسية الجديد «غي مولي «Guy Mollet» (ال كاتب العام للحزب الاشتراكي). وفي 3 فيفري 1956 التحق به الزعيم الحبيب بورقيبة وتمّ الاتفاق على استئناف المفاوضات في المطالب التونسية. افتتحت المفاوضات بين الطرفين يوم 29فيفري وتعرّث لمدة 18 يوما نتيجة مماطلة السلطات الفرنسية بسبب رفض حزب المغمّرين أو غلاة الاستعمار التفاوض في مطلب بتونس الاستقلال جملة وتفصيلا.

وبينما كان الوفد التونسي يتفاوض مع الحكومة الفرنسية، كان الملك محمد الخامس يتفاوض بباريس مع مسؤولي وزارة الخارجية الفرنسية وتوجت سلسلة اللقاءات بين الطرفين بإبرام اتفاقية 02 مارس 1956 القاضية باعتراف فرنسا باستقلال المغرب الأقصى وهو ما زاد في دفع معنويات الوفد التفاوضي التونسي و إبرام اتفاق مماثل مع الطرف الفرنسي.

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

منظرة آري



عند توقيع الوثيقة

باعتبارها «خطوة إلى الوراء» وأنّ استقلال تونس لا معنى ما دام المغرب الأقصى

وخاصّة الجزائر، التي كانت في أوج ثورتها المسلّحة ضد المستعمر الفرنسي منذ 1 نوفمبر 1954 لم يحصلا على استقلالها.

كما نصّت اتفاقيات جوان 03 1955 على بقاء الأمن والدفاع والخارجية بيد فرنسا لمدة لا تقلّ عن 25 سنة... وغيرها من المسائل الترتيبية لفائدة فرنسا عامة. ولعلّ ضوء هذه التطوّرات تقسمت البلاد إلى شقّين: شقّ الأمانة المؤبّد لصالح بن يوسف وشقّ الديوان السياسي المؤبّد للحبيب بورقيبة كانت نتائجها دخول البلاد في دوامة الصدامات وحمّى التنكيل والإيقافات والاعتقالات والتصفيات الجسديّة من الجانبين. فكان من الضروري حسم هذا الخلاف بين فقاء الحزب الواحد. التأم «مؤقر الحسم» للحزب بمدينة صفاقس بين 15 و 18 نوفمبر 1955 وأبّد موقف بورقيبة ومنحه ثقته بتأييد اتفاقية الاستقلال الداخلي باعتبارها «خطوة نحو الاستقلال التام». ونتيجة لذلك أثر صالح بن يوسف الخروج من البلاد والاستقرار بعمر نتيجة دعم الرئيس جمال عبد الناصر له. أمّا أنصاره فقد عرفوا الملاحقة والتنكيل والتعذيب والمحاكمات... من قبل المحكمة الشعبية ومحكمة القضاء العليا إلى غاية اغتياله في 12 أوت 1961 بمدينة فرنكفوت بألمانيا.

وفي الأثناء تمّ الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والباي على تشكيل حكومة تفاوض ثانية يوم 17 سبتمبر 1955 بقيادة الطاهر بن عمار لكنّ نسق المفاوضات كان بطيئا بسبب عدم الاستقرار السياسي بفرنسا. وفي 31 جانفي 1956 تحوّل الطاهر بن عمّار إلى باريس للباحث مع رئيس الحكومة الفرنسية الجديد «غي مولي «Guy Mollet» (ال كاتب العام للحزب الاشتراكي). وفي 3 فيفري 1956 التحق به الزعيم الحبيب بورقيبة وتمّ الاتفاق على استئناف المفاوضات في المطالب التونسية. افتتحت المفاوضات بين الطرفين يوم 29فيفري وتعرّث لمدة 18 يوما نتيجة مماطلة السلطات الفرنسية بسبب رفض حزب المغمّرين أو غلاة الاستعمار التفاوض في مطلب بتونس الاستقلال جملة وتفصيلا.

وبينما كان الوفد التونسي يتفاوض مع الحكومة الفرنسية، كان الملك محمد الخامس يتفاوض بباريس مع مسؤولي وزارة الخارجية الفرنسية وتوجت سلسلة اللقاءات بين الطرفين بإبرام اتفاقية 02 مارس 1956 القاضية باعتراف فرنسا باستقلال المغرب الأقصى وهو ما زاد في دفع معنويات الوفد التفاوضي التونسي و إبرام اتفاق مماثل مع الطرف الفرنسي.

وبعد أخذ وردّ ومشاورات ماراتونية بين الوفد التفاوضي و «القران أوتيل» Grand Hôtel» (مقرّ إقامة بوريقة) أمضى الطرفان الفرنسي والتونسي في حدود الساعة السادسة والرّبع (18 و 15 د) من مساء يوم 8 مارس1956 على التوقيع بالقاعة الكبرى بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس على اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه باستقلال تونس بما يقضيته من « ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتشكيل جيش وطني تونسي ». وقد أمضى الطاهر بن عمّار عن البروتوكول باللغتين الفرنسية والعربية (النظر الوثيقة المصاحبة) وفي ذلك أكثر من دلالة !

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان 1955 إلى استقلال تام في ظرف سبعة أشهر و 17 يوما بالضبط (أي بعد 197 يوم) في حين نصّت بنوده على أنّ يتمّ ارتقاء تونس إلى الاستقلال التام في مدّة زمنية لا تقلّ عن 25 سنة. وقد اعتبر عديد المختصّين ذلك «إنجازا» يُحسب للحزب الدستوري

ويلبّض هذا البروتوكول تمّ تحويل اتفاقيات الاستقلال الداخلي المبرمة في 03 جوان



د منير السعيداني

من ووهان في الصين بدأ فيروس كورونا رحلته، ربما كان قبل ذلك قد اجتاز المسافات الفاصلة بين مختبرات الحرب الجرثومية وأسواق المدينة الصينية المزدحمة التي صارت مركز العالم، وبصرف النظر عن أن يكون قد حطّ رحاله بالمدينة في حقيبة ذئب منفرد انغماسي يريد بالعين شرًا، أم هاجر إلى البشر من على جسم حيوان، استغل الفيروس في انتشاره الوبائي ما وفّرت له تكنولوجيا النقل الجويّ العابر للقارات: تحفّف يسير، واجتياز للحدود خلسة، فانتشار ممتدّ وسريع. وعلى وقع امتداده، بدأ الفيروس يرسم خرائط عالم تغير تشكيله من أقسام بها بلدان وأقاليم وجهاتٌ إلى نطاقات بها مناطق موبوءة، ومُدُنٌ إصاباتٍ فاشيةً، وبؤر انتشار جائح، وعلى مرّ رحلته إلى أرجاء العالم الذي صَنَعَتْهُ هو ذاته، بدأ الفيروس يدخل المختبرات المختلفة، وحادًا تلو الآخر.

انهيار الحدود الفاصلة وحكومة العالم:

دخل الفيروس مختبرات الطب والصيدلة والأصل والتلقيح علوم الجراثيم بمجرد أن ظهرت آثاره الأولى في مختبر ووهان الطبيعي المفتوح. وعلى وقع امتداد رحلته شرقًا وغربا، كانت الجدران الفاصلة بين مختلف أنواع المختبرات تنهار ليأخذ الوباء الجائح كلّ مداه الموعوم. ولم يمسّ انهيار الجدران الفاصلة أنواع المختبرات واختصاصاتها وأدواتها وطرق تفكيرها ومسارات اشتغالها ومواقفها و«جنسيتها» فحصب، بل لم تكن عمليات دمجها وتركيب استراتيجياتها وتكامل مخرجاتها إلا مظهرًا من مظاهر سيّلان الظواهر المعوملة الرابطة بين أطراف العالم. وعليه، أكثر ما يتوجب أن يثير المعتبرين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في رحلة أثر الفيروس، هو أن يجدوا عسرًا في إدخاله إلى مختبراتهم.

من بين أسباب ذلك العسر، استمرار الكثير من التناول الإعلامي المحلي والعالمي في التّركيز على التعامل القومي-«الوطني» المفرد والمتفرد مع آثار رحلة الفيروس، متغاضيًا عن انتصاب هيئة أركان تعمل على هيئة «حكومة عالمٍ». انتصبت تلك الحكومة في مقر المنظمة العالمية للصحة تحت قيادة عالم الأحياء والمناعة وصحة المُجتمَع تيدروس أدحانوم غيبريسوس، مدير عام المنظمة منذ ماي 2017. ربما كان لصعوبة نطق الاسم الأثيوبي دور في ذلك المغاضي الإعلامي، وأو لمجيئ الرجل من تجارب في مجابهة الأمراض المنفشية رئيسا لمجلس إدارة الصندوق العالمي لمكافحة الإيدز والسل، ورئيسا لمجلس إدارة شركة دحر الملاريا، ووزاريّ بلده للصحة (2005-2012) فالخارجية (2016-2012). وربما كان تناسي سياسات حكومة العالم التي يقودها الآن أول مدير للمنظمة من أصل أفريقي عائدًا إلى أنه، حاملًا بعض الحكمة الأفريقية المجهولة المتجاهلة، ركز برنامجه القيادي للمنظمة على التغطية الصحية الشاملة، والطوارئ الصحية، وصحة المرأة والطفل والمراهق، والآثار الصحية للمناخ والتغير البيئي، وإصلاح المنظمة. عندما وجد تيدروس أدحانوم غيبريسوس نفسه والمنظمة التي يقودها في قلب طائرٍ صحي عالمي الامتداد، قال في ندائه الذي نشره بتاريخ 11-2020 03-... «أذكر جميع البلدان أننا ندعوها باستمرار إلى تفعيل آليات الاستجابة لحالات الطوارئ وتوسيع نطاقها؛ عليكم التواصل مع شعوبكم وتوعيتيها بشأن المخاطر وسبل حماية أنفسكم؛ فهذه الأزمة تعني للجميع، تقصّوا الحالات واحرصوا على عزل كل حالة وفحصها وعلاجها وتتبع كل مُحاطٍ من مخالطيها، هيئوا مستشفياتكم، وقّروا الحماية والتدريب للعاملين الصحيين، وليعت كل مناّ بالآخر، لأنّ كلّ منا يحتاج إلى الآخر... دعوني أعرض عليكم كلمات أخرى يُمكن اتخاذ إجراءات أهمّ بشأنها، الوفاية، التأهب، الصحة العمومية، القيادة السياسية... والأهم من ذلك كله، الناس».

الامبراطورية ومختبراتها:

ليس يتفق مخطط مجابهة الطوارئ هذا مع التخطيطات القومية التي تتخذها الحكومات التي أمضت عقودا في تدمير أنظمة الصحة العمومية



فيروس الكورونا في مختبر... علم الاجتماع



وإكمال أمر حياة الناس وسلامتهم الجسدية والنفسية والعقلية إلى شركات الاستثمار في صناعة التكنولوجيات الطبية، وأرباب لوبيات الصناعات الدوائية والصيدلية، ومهندسي سياسات جرف مكسبات الرعاية العمومية وقطع أوصل العناية المتضامنة. ولأن خطة طوارئ المنظمة لا تتفق مع التخطيطات القومية، تنقلب عليها الحكومات بسياسات انعزالية تتجاهل ما أنتت به الجائحة إلى البشرية: درسٌ موعجٌ وتزيّافه التقيُّصُ في آن معًا: «العزل» و«التضامن»: عزل كلِّ حالةٍ مُصابَةٍ، وتضمُّن الجميع في المجابهة. الإجراءات التي اتخذتها الدُول العظمى تبيّن انعزاليّتها القومية المناقضة

لنروعها الدوّب إلى ترسيخ عوملة التجارة والحرب والإعلام والموضة ... وحتى حقوق الإنسان طالما كان من الممكن استعمال كل ذلك في اتجاه توطيد أركان الامبراطورية التي تحكمها. الانعزَالُ كلمةٌ مفتاحٌ هاهنا، ولذلك يكون انهيار كل الجدران الفاصلة بين جميع المختبرات ذات العلاقة بفيروس الكورونا في غير صالح الامبراطورية ووكالاتها القومية المسماة دُولًا رأسمالية صناعية وما بعد صناعية متقدمة. ولكن فمّة أربعة مختبرات تحرص الامبراطورية على الحفاظ على تناقض مخططاتها الاستراتيجية وسياساتها التنفيذية وفُخرجاتها الاستثمارية:

المختبر الوبائي، بحيث لا يكون إلا في خدمة لوبيات شركات التطبيب والصيدلة والتجهيزات الطبية، والمختبر الجغرافي-السياسي بحيث لا يحصر إلا على إعادة تقسيم العالم على أساس خطّ فاصل بين الإرتجين من مجابهة الجائحة (الأمم الناجية) والخاسرين منها (الأمم الهالكة)، والمختبر الإعلامي بحيث لا يُشغّل إلا آليات الوضُم والتحقير والإبعاد لإعادة وضع تَرَائب الثقافات والأمم والشعوب والأقوام والإثنيات، والمختبر الحربي بحيث تتمّ إعادة ترتيب قوى الهيمنة في العالم من دون الحاجة إلى قتالٍ مباشر بالأسلحة.

في مختبرات المعالجة الإعلامية للجائحة يشغل الوصم ضد الصين لاتباعها سياسات حيوية دكتاتورية، وضد إيطاليا لاتباعها سياسات حيوية متخاذلة، وضد إيران لسياساتها الحيوية المستهترّة الكتومة، وضد هذه الدول وتلك بحجج متقاربة متماثلة. وفي الأثناء تتناسّى أغلب دول العالم، متروكة إلى مصيرها، خارج تقاطعات خطوط النقل الجوي ومطارات العبور، وبحار النهام الحوت لأحساد المهاجرين التائهين بين ماء وسماء، ومناطق التهريب ما بين الصدودي وخرائط تصدير الإرهاب. ويشغل كلّ من المختبر الجغرافي-السياسي والمختبر الإعلامي من أجل اعتماد مقياس جديد لترتيب الحكومات بين قوِيّةٍ وضعيفةٍ وواهنةٍ وفاشلة... على أساس موقعها من بؤر الفُتْك الأشدّ الذي تُحدِثه الجائحة.

على هذا المنوال تريد الحكومات الانعزالية غير الأبهة مصير البشرية أن ترجم الإجراءات الوقائية الموضوعة لإبطاء سرعة انتشار الوباء في اتجاه تأكيد سياسات الانعزال والعزلة، الحدّ من حركة الأشخاص، ومرعاة

12

13

هزمها الفيروس، واستعادها لمد يد العون معرفّةً وتجهيزًا وخبرة، ما يدلّ على أنّ منطلق المجابهة المتألفة المعوملة هو الآخذ بالسيادة رغم أنف الامبراطورية وسياساتها.

في توجيهه، قال مدير عام المنظمة العالمية للصحة: «أذكر جميع البلدان... عليكم التواصل مع شعوبكم... فهذه الأزمة تعني الجميع... تقصّوا... واحرصوا على عزل كل حالة... وعلاجها... وليعتنّ كل مناّ بالآخر، لأنّ كلّ منا يحتاج إلى الآخر».

من منظور علمي اجتماعي، فمّة هاهنا رهانٌ بالغ الحساسية بالنسبة إلى مستقبل كلّ مجتمع ومنه إلى مستقبل البشرية: كيف غمارس التباعد الاجتماعي من دون أن نضحّي بالصلة الاجتماعية؟ وكيف نهاجر في اتجاه إعادة بناء اجتماعيتنا بتعام الوعي والتصميم؟

سياسات حيوية مدنية، تشاركية، تبنى من تحت:

هجران الخوف الفردي وتوديع الهلع الجماعيّ ومفارقة الارتعاب العَشُدّيّ بالهجرة إلى التَحَوُّطِ الوقائيّ المُنَجّم هو الكفيل بالخُرُوج من مأزق الفصل الواصم إلى رحابة الحيطة المتألفة. هذا هو قلب الصراع القائم الآن وهو مجابهة الجائحة الوبائية، على امتداد العالم وفي كل بلد على حدّة. ولأنّهُ صراع مركبٌ فهو اجتماعي، في معنى أنّه مدني، بحيث لا يخاض إلا على أنّه مشرّك. ولأنّه كذلك فلا بدّ أن يخاض ديمقراطيًا، بما يصل بين معنيين للديمقراطية:

معنى الديمقراطية بما هي تشاركية جماعية مُساويةٌ.

ومعنى بعث الديمقراطية إن كانت مفقودة، وتحصينها إن كانت موجودة، ولكنها واهنة في تمثيليتها ومعوقّة برلمانيّتها، كما هي عليه اليوم، تعاني سكرات انتهاء صلوحيتها التاريخية.

بهذا، ومثلما تدلُّ عليه أزمة الديمقراطيات التمثيلية الليبرالية الكسبية في غير ما مكان من أرجاء العالم، تكفّ إدارة شؤون المجتمع عن أن تكون جكرًا على الحكومات، ومثلاً يمثّل، وتوجّب أن تكفّ السياسات الحيوِيّة، وعلى الأخص منها ما يوضع زمن الأوبئة، عن أن تكون حكرًا على الحكومات، ناهيك عن أن تكون مدخلا، مثلما هي على أسنّة البضض وأقلامها هنا في تونس، للدعوة إلى تثبيت وحدانية الدولة في هذا المجال، بحيث تيسر أكثر ممارسة الديمقراطية المستدتمرن في حرية الأوبئة، حلفيي الطابع التجاريزين، مرفعي الأسعار وممارس الاحتكار في الأسواق.

وليس يُستثنى المختبر الوبائي من ضرورة ديمقراطية مواجهة الجائحة الوبائية هذه. في هذا المجال أيضًا، تتجلى ضرورة الديمقراطية التشاركية المدنية الواسعة. ديمقراطية المعرفة فبدأ عن احتكارها للتفكير متوافق معها وتشكلت مراكز القوة في العالم القوّفي المتجرع من جهة، وعن استثماريتها الامبراطورية من جهة ثانية. هي ضرورية الآن وهنا، في زمن الأوبئة، وأكثر من أي وقت مضى. ضرورة هي تشاركية المعرفة الطيبة والوبائية وافتتاح البحث في وجه كل ذي اتصال بالشبكة الدولية المفتوحة للمعلومات، أكثر مجالات النفاذ انفتاحا اليوم، وفي وجه كل منفتح على، أو مستمع إلى، وبرامج التوعية والتحميس والشرح والجدل والتداول في الشأن الوبائي الوطني والعالمي. إن المزيد من إضفاء الطابع الديمقراطي على المعرفة وتوسيع النفاذ إليها، بالمجان وبأيسر السبل، ضروريان حتمًا حتى يكون اتخاذ القرارات الجماعية ممكنًا، وطوعيا، وقائمًا على المعرفة والدراية والفهم والافتناع. وليست معرفة الخبراء بذات سُلْطَة هَاهُنَا إلا بقدر تيسيرها للهدف المزودج: تمكّن جماهيريّ واسعٌ للمعرفة الطيبة والوبائية من جهة ومن جهة ثانية إشراك مدنيّ في رسم سياسات مُجابهة الجائحة والتعاون في تنفيذها والتضامن في وجهها.

مصير البشرية الآن، مثلما كان على الدوام، رهينُ تحويل لحظة الأزمة إلى فرصة تغيير اجتماعيٍّ مُستقبليٍّ حقيقيّ. وفي اعتماد سياسات حيوية مدنية، ديمقراطية تشاركية، تبنى من تحت، بجهود ذوي الشأن والمصلحة ومعارفهم واستعداداتهم، مُساوون في المخاطرة وفي حظوظ نجاح مجازفاتهم، ما هو كفيّل بتحقيق فُضْل من دون وضُم وتَضامُن من دون مُستيسين على قارة طريق صحة عمومية للجميع. إلخ نقول مثل هذه المبادرات بوضوح إنّ المطلوب الآن هو الانتقال من مجرد الانضباط للسياسات الحكومية والاتصاف بالوعي، كما يردّ مدعُوو «البرامج الحوارية» على الشاشات وعلى موجات الإذاعات هنا في تونس، إلى المسؤولية الفردية والجماعية على الذات، وعلى الذوات المتقاربة، ثم على الذوات البعيدة الأخرى، الأبعد فالأكثر بعدًا. وفي إعلان الصين عن



الثقافة والترقيم

حسني عبد الرحيم

إحتاجت البشرية منذ تحول الشمبانزي لشبه إنسان لحوالي مليون عام قبل التوصل لصناعة آله حادة من الحجر المققول أستخدمه الإنسان الأول لنزع اللحم من هيكل الحيوانات التي يصطادها ولم يكن هذا بالإختراع البسيط لأنه ساهم في تعديل البناء التشريحي لراحة اليد مما مكن الإنسان من استخدامها في وظائف متعددة ..لاكتشاف النار كان نقلة نوعية أخرى مكنت الإنسان من طهي طعامه المأخوذ من الطبيعة وتحسين حالته الصحية بتناول طعام أفضل بعكس الشمبانزي التي ظلت تتغذى على الثمار التي تستخدم الأغصان في إسقاطها من فروع الأشجار وكانت تستخدم الأحجار غير المقصولة لإستخراج ماتحتويه الثمار الصلبة، وإحتاج الإنسان بعد ذلك مليون سنة أخرى لكي يكتشف الزراعة ويصنع أدوات متعددةالتقدم في صنع الأدوات كان يستغرق أزمنة طويلة وكان من نتيجتها تطوير قدرته في السيطرة على الطبيعة وشروط حياته.لكن التغير الجوهرى والحاسم في هذه المغامرة التكنولوجية كان الوصول لمصدر للطاقة من مصادر غير القوة الحيوية للحيوانات المستأنسة فإكتشاف طاقة البخار هو الذي أذن للعصر الحديث ومنذ ذلك الحين تسارعت الإكتشافات من طاقة الكهراء والمحرك التربولي والكهربي حتى المحركات بالطاقةالنوية!كانت وتيرة الإكتشافات متزامنة مع تغير النظام العقلي ذاته أو مايسمى» زمكانية «العصر الصناعي والذي تمثله الساعات الحائطية التي ملأت ميادين المدن الكبرى وأصبحت معلمها شبه الديني(عبادة الوقت) والتسارع الزمني!

تغيرت العادات والتقاليد والأخلاق مع كل تغير زمكلي لكن هذا التغييرات كانت تتطلب وقتاً وتطلبه التفكير في المعطيات الحديثة و تطوير نظام للتفكير متوافق معها وتشكلت مراكز القوة في العالم الحديث وفق التوزيع والتمكن والإستفادة من المخترعات الجديدة واصبحت الجزيرة البريطانية في بحر الشمال تملك السيطرة على معظم بقاع العالم لتكون إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس! وتحل فيها الأتغليكانية(البروتستانتية) كمؤثر للمجال الأخلاقي إلى، والديني والثقافي كما بين فيما بعد «ماكس فيبر» في كتابه العمدة (البروتستانتية والأرسالية) التسارع في ال«تكنوساينس» أرتبط بدخول الكهراء في كل مجالات الحياة الصناعية والمنزلية فألطاقة الجديدة ساهمت في تطوير وسائل سريعة للمواصلات وكذلك للإتصالات أهمها الراديو والتلفزة والسينما وأصبح المنتج الثقافي جماهيري pop-culture وأضحت الثقافة الجماهيرية سلعا يعمل فيها ملايين الناس ويستهلكها مليارات في كل بقاع الأرض واستتبع ذلك تغيير غير مسبوق في القيم والأخلاق وأنظمة التفكير وحتى العلاقات الحميمة والروابط الإجتماعية!

الأكثر أهمية في هذا الشأن هو التسارع الزمني فلم يعد الثبات والأصول المحافظة والتقليدية قادرة على مقاومة الجديد وأصبح «كل ماهو راسخ وثابت تذروه الريح!»(كارل ماركس).

الإختراع الحاسم لم يكن الكمبيوتر الذي يعمل ببرمجة رقمية فقد كان مقصراًعلى أمور عسكرية ثم بحثية في شبكة للمعلومات كانت تضم الجامعات الأمريكية في البدء ثم تحولت للشبكة الدولية «الإنترنت»الحاسم



واللغات والتجمعات السكانية من أقصى الأرض إلى أقصاها..وتتشرب موجة الهلع العالمي الحالية بمناسبة وياه «كورونا» إلى هذا المعطى الجديد إكما تابعتها التدخل في إنتخابات دول عظمى من قبل دول معاديه لها لتحديد من يدبرون سياستها وكذلك المشاركة الهائلة للناشطين على الشبكات في التحركات الشخصية والتليفون المتنقل(المحمول) ثم التليفون الذكي (تتركز الصناعة في الولايات المتحدة»Intel» وكوريا الجنوبية»Samsung» واليابان»Toshiba «)وانتقال العالم لوضع لم يعهده من قبل ولم يكن يتوقعه حتى أكبر العالمين والمستقبلين أنتج تغيير شامل للزمان والمكان!وهما المجددان الرئيسيان للأدكار والقيم والأخلاق التي لم تكن في كل الأزمنة سوى نابعة من الدرجة والطريقة الخاصة لتطوره

والآن يبدو أن الأمر بسبيله لتغير شامل لأهمية صناعة الأدوات من الحجر المققول واكتشاف النار! لينتقل المؤثر الرئيسي لخارج المجتمع المعين وبعيدا عن قواه العضوية والتاريخية. التسارع المذهل للإختراع الجديد والتطبيق الفوري في مجالات صناعية وأدوات شخصية للإتصال غيّر مفهومي «الزمان» و«المكان» القديمين Techno-cultureبأفرياء الكلاسيكية ومن هنا نشأ مصطلح(-المحمول Science) والوضع الجديد أنتج هوة بين الإستخدام للتكنولوجيا الواسع والمعمم ومحدوديةإدراك قواعدا وقوانينها مما حدا ببعض الفلاسفة(جاك دريدا)الإفتراض عودة للميتافيزيقي تبعاً لهذا الإنفلاق إفتناك وقت ضروري للإدراك أصبحت سرعة الجيدد لا تلاحقه. على الصعيد اليومي أصبحت الفنون التفرزية التي تبث من أي مكان متوفرة في كل مكان وأدى التطبيق اللاحق للشبكات الإجتماعية ك«فيسبوك» وتويتِر «يتيح التدخل الشخصي في نقل وتوثيق الأحداث والتعليق عليها وتفسيرها كل حسب هواه وثقافته وتعتقدات حياته!لم يعد من الممكن عزل المجانين عن الحياة العامة في مصحات عقلية لمنع تأثيرهم السلبي على جماهير الناس فألجميع يتواصل عبر تليفونه الذي يتصل بأل (Wi-Fi) من أي مقهى مجاور. النتيجة المنظورة لهذه الثورة الإتصالية هي إنتقال عادات وسلوكيات وأفكار وفنون وتجزبات ومواقف فكرية و موزات وشطحات من كل نوع عبر الحدود الماضية..



حيرة مولع بالتاريخ: صفاقس والنورمان أنموذجا (2)

(حيرة في ثيت بعْض الأعلامِ والمواقعِ والوقائعِ)

شاهين السائي



دخل النورمان صفاقس وأخضعوها لحكمهم كما فعلوا مع مدن وجزائر أخرى من إفريقيّة في منتصف القرن الثاني عشر ميلاديًا، وتُروى عنُ مقاومة الأهالي لهذا الغزو حكاياتٌ كثيرةٌ تمجّد قيم الفداء والتضحية والجلدِ، وكما هو معلومٌ للحكايات أحداثٌ وأماكن تدور فيها وشخصياتٌ وأبطالٌ يرسمون بأفعالهم وأقوالهم معالمها. أحاولُ دائمًا أن أذكر نفسي أني بصدد الكتابة عن فترةٍ من التاريخ الوسيط عاشتها المحروسة (صفاقس)، وهذا هذا الضرب من الكتابة حقلُ ألغامٍ على غير المختصين من أضرابي. إلاّ أنّي كلُّما تقدّمتُ أكثر في معاشرتهُ ما أُنِج لي من مراجع حول تلك الفترة، وقد تكون غير كافية، كلُّما وقفت على ضروب شتىٍ من المخالفة بين المؤرخين والباحثين في التاريخ، وهي مخالفة طالت الأعلامِ والمواقعِ والوقائع، وهذا ما عمّق إحساسي أكثر فأكثر أنّي أمام نصٍّ أدبيٍّ أو سرديةٍ أدبيةٍ تفتح الباب أمام شتى التأويلات. لا أتحدّث هنا عن مخالفةٍ من قبيل ذكر اسمِ ملكٍ صقليّةٍ النورماني آنذاك: «لُجار» أو «روجار» أو «روجي» أو «روجر»، فذاك أمرٌ هيّنٌ وهو من فعل تباين اللُغابِ في النطقِ، أو عن «ماجل الصّاعة» الذي أعُدّ فيه الحُدادون الصفاقسيّةُ الأسلحةُ في غفلةٍ من عيون النورمان، ويسميه البعض «ماجل الرّاعة» والرّاعة سلاح قاتل دقيق يمكن إخفاؤه في أعواد القصب، وهذا التقارب الصوتي بين الكلمتين يجلي العلاقة بين الصانع (الصّاعة) والمصنوع (الرّاعة)، وليكن اسمه «ماجل صّاعة الرّاعة». إنّما أتحدّثُ عن مخالفةٍ أكثر غورا قدُ وُقفت على جانب منها فقادتني من ولع التاريخ إلى فنّنة الحكاية.

لتكن هذه القصةً منطلقًا، وهي قصّةٌ ما أعذب ما يكون. يُروى أنّ النورمان أخذوا شيخا من وجهاء صفاقس رهينة عندهم لما له من علوٍ مقامٍ ونصّبوا ابنه قِيمًا على النَّاسِ فلا يتحرّك عليهم حتّى لا يفتكوا بأبيه، ولكنّ الشيخ أسرٌ إلى ابنه، وفي بعض الروايات بعثُ إليه برسالة، قال إنّه زاهد في حياته فإن حانت لحظة العصبان فلا يتردّد أحد وأن يتحسوه شهيدا. أذعن الابن لوصيّة أبيه، وحين أسرٌ إلى قومه أن ساعة القتال قد اقتربت قالوا إنا نخاف على أبيك من شرِّ عظيمٍ سيحل به إن جرّدتنا، فقال إنها وصيّةٌ وإنه احتسبه شهيدا وقد قضى الأمر، فكان التخطيط لمقاتلتهم وأخذهم على حين غرّة وكان التنفيذ، ويقالُ إنّ رسول ملك صقليّةٍ حين جاء إلى صفاقس بعد خروجهم منها وهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، ليطلب من الابن العدول عن تمردّه والعودة إلى حكمهم مرّةً أخرى، ويذكره أنّ أباه رهينة عندهم، ووجه قد أعدّ جنازةً وموكبٍ عزاءٍ وحين سأل عن الأمر قيل له إنّه يقبلُ العزاءَ في أبيه ثمّ يقابله. كانت الرسالة واضحة. كانت الجنازة وهيميةً أو لنقل رمزيةً وكذا كان موكب العزاء. كان الابن لوصية أبيه. عاد الرسول إلى ملكه مذهولا فأخبره بما رأى فأمر بقتل رهينة.

تعمدّت سرد هذه القصة دون ذكر لأسماء الأعلامِ والأماكن، فلئن اتفقتُ الرواياتُ على ما جاء فيها -عموما- من وقائع، فلنْ المخالفةُ تكمن في بعض الأعلامِ والأماكن. يقول عثمان الكعاك «وسبي والدُ الأمير البرغواطي وهو شيخ طاعن في السنّ يسمّى أبا العباس». أشار الكعاك إلى أنّ هذا

الشيخ يكتّى «أبا العباس»(1)، وقد ذهب مذهبه جمعة شيخة في كتابه «قرقنة وجربة من خلال كتب الرحلات»(2)، إلا أنه في كتابه «صفاقس عبر التاريخ من خلال كتب الرحلات» تراجع عن هذه

الكنية فكان يسميه تارة «أبا الحسن الفرياني»(3) وتارة أخرى «أبي الحسن»(4)، ولعلّ الكنية الأخيرة من الأخطاء المطبعية. هذا الأمير وإبنه تذكرهما معظم المراجع المتاحه ومنها «دائرة مقديش»، وهي

14



تتفق مع ما هو متداول في الروايات الشعبية، أنها الشيخ علي الفرياني وكتبته «أبو الحسن» وابنه الشيخ عمر الفرياني(5). من أين جاء مؤرخنا الكبير الكعاك بهذه الكنية؟ ولمّ هذا جمعة شيخة حدوه في الكتاب الأول ثم تراجع عنها في الثاني؟ لا أدري. يبقى أهم ما في هذه القصة، بالنسبة إليّ، أنها لا تشدّ مطلقا عن القصص الكلاسيكية التي تعلي من شأن الواجب وترفعه إلى مصافّ التقديس، الواجب تجاه البلاد

أو العباد أو العقائد، ويتهافت أمام هذا الواجب صوت العاطفة، عاطفة الأبوّة أو البنوّة كما هو الحال بين هذين الرجلين من آل الفرياني، وهو ما يجعل من القصة، بعيدا عما ورد وما سيرد فيها لاحقا من مخالفة، أشدّ قربا -في تقديري المتواضع- إلى القصّ الأدبي أو الشعبي.

لا يمكن الحديث عن تاريخ صفاقس دون الغوص في علاقتها بأختها قرقنة، وقد نالهما من النورمان ما نال غيرهما من مدن البلاد وجزائرها. يقول الأستاذ عبد الحميد الفهري: «لمّ يقم المسيحيون -فيما أكده المصادر الكنسية- بأسر أكثر من ثلاثة آلاف نفر من سكّان الجزيرة في عهد النورمان؟»(6). الجزر تُغوّر من حضنها أمنٌ وغنمٌ ومن أهلها فقد جنى كل نفسه وكذا كان الأمر في تلك الفترة من حكم النورمان، والنورمان أهل بحر يعرفون أهمية الجزر وهم الذين اتخذوا من جزيرة صقليّة مركزا لحكمهم ومنطلقا لغزواتهم ومغامراتهم البحرية. هنا نعرّث على جانب آخر من المخالفة في الروايات، إذ يرى الكعاك أنّ لجار حين استولى على قرقنة بعد مقاومة شرسة من أهلها حولها «إلى مركز هجومٍ على صفاقس»(7) وقد أيدّه جمعة شيخة في كتابه عن قرقنة فقال إنّ هذا الملك الصقلي بعد أن غزا الأرخيبيل «اتجه إلى صفاقس وحاصرها»(8)، إلا أنه -مرّةً أخرى- يعدل عن ذلك في كتابه عن صفاقس فأشار إلى أنّ «قطعا من الأسطول الذي غزا المهديّة توجهت إلى صفاقس»(9)، وهذا ما تشير إليه مراجع

أخرى من بينها «دائرة مقديش» وقد جاء فيها: «لمّا استقرّ جرجير بالمهديّة سيرَ أسطولا بعد أسبوعٍ إلى صفاقس»(10).

هل انطلق النورمان في غزوهم للمحروسة صفاقس من المهديّة أم من أرخبيل قرقنة؟ لا قدرة لي على الإجابة، ولكن بغض النظر عن صحّة أحد الأمرين من عدمه، وقد يكون كلٌ منها صحيحا باعتبار حالة الكركُ والفركُ في الحرب، إنّ مثل هذه الروايات تؤكّد أنّه ثمةٌ بين الأخنتين صفاقس وقرقنة وشائج قرني لا يمكن الغفل عنها.

بالعودة إلى قصّة آل الفرياني وقتال النورمان نجد ذكرا لقرقنة طرفيا وأنّ لم يكن محلّ إجماع. ذلك أنّ الكعاك قد أشار إلى أنّ النورمان حين أخذوا الأب (أبا الحسن الكعاك أو أبا العباس) رهينة قد اقتادوه إلى قرقنة، وظلّ في أسرهِ هناك حتّى جاء قرار إعدامه فقتل في مكان صار اسمه «العباسيّة»، وهي القرية التي تعرفها اليوم بهذا الاسم في الأرخيبيل، وذلك تيمّنا بالكنية التي أوردها عن هذا الشيخ (أبو العباس)(11). أثبتت جمعة شيخة هذه الرواية في كتابه عن قرقنة قال: «فقام روجار الثاني(12) بإعدام أبي العباس بقرقنة في المكان المعروف بالعباسيّة»(13)، ونصّي عن البيان أنه قد تراجع -كما أسلفنا- عن هذه الكنية واستعاض عنها بكنية «أبي الحسن» في كتابه الثاني عن صفاقس فلمّ يعد ثمة من مبرّر لنسبة «العاسيّة» إلى «أبي العتاس»، ولا نعرّفُ إن كان نقلها في كتابه الأول

15

قراءات:

«تحديث الفكر الإسلامي في تونس من خلال بعض الآماذج المعاصرة» 1 لبارك حامدي:

من أجل مصاحبة نقديةٍ لمقاربات التحديث

رياض خليف



تتجاوز ما ترذّده المؤسسة الرسمية التعليمية

و الدينيّة وتخرق المسلمات السائدة وتحدّث صدمة لدى المتلقّي الذي يراها تجاوزا للخطاب الديني وخروجاً عنه.و لكنّ المتأمل في هذا الموقف يرصد تسفيه أصحابها لتهم تكفيرهم و تمسّكهم بالانتماء إلى منظومة الفكر الإسلامي.فهؤلاء يخوضون في مواضيعهم تحت راية تحديث الفكر الذبني ويعتبرون أنّ اختلافهم ليس اختلافا عقائديًا بل اختلافًا في المواقف و الآراء داخل منظومة فكرية واحدة.ويدرجون جهودهم في إطار الاجتهاد الفكري و محاولة تجديد الفكر الذبني وتطويره لتشثتدّ فعاليته و بلائم العصر. هذا الخطاب الفكري لم تخل منه الأعمال الفكرية العربية المعاصرة و يشهد حراكا متنوعًا في المستوى المحلي إذ تعدّدت الإسهامات في السنوات الممكن أن يحصل لقاء هناك، لقاء بين رجلين ينطقان بنفس اللسان ويمحلمان نفس العقيدة الدينيّة وتطلق على كل منهما صفة الشيخ أو العالم. هو لقاء بلغةٍ عصرنا اليوم بين «متفكّنين» من طينة مختلفة، واحد أثر الشهادة منتصرا لقيم التضحية والفداء والآخر اختار أن يكون عالما في بلاطٍ من يحفظ له مكانة أو واجهة ولو كان من أعداء بنيه. كيف سيكون هذا اللقاء؟ ما الحوار الذي سيدور بينهما؟ كيف سيبدأ؟ وبم سينتهي؟ وهل ثمةٌ منتصر بينهما؟ أسئلة كثيرة تدور في ذهني وخير سوّالٍ السوّالُ الذي يفتح الباب أمام سؤالٍ آخر جديد. (يتبع)

___الهوامش___

1- الكعّاك (عثمان)، جزر قرقنة في الأدب والتاريخ، نشر جمعية النهوض بالطالب القرظني، صفاقس، 1955، ص.30.
2- شيخة (جمعة)، قرقنة وجربة من خلال كتب الرحلات، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 1994، ص.15.
3- شيخة (جمعة)، صفاقس عبر التاريخ ومن خلال كتب الرحلات، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 1995، ص.15.
4- شيخة (جمعة)، صفاقس عبر التاريخ ومن خلال كتب الرحلات، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 1995، ص.16.
5- مقديش (محمود)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار- تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، ط1، ج، بيروت، 1988. ص491.

6- الفهري (عبد الحميد)، قرقنة تاريخ ومجتمع. تأليف جماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس ومركز سرسينا للبحوث في الجزر

المتوسطية بقرقنة، تونس، 2001، ص.15.
7- الكعاك، مذکور، ص.30.
8- شيخة، قرقنة وجربة من خلال كتب الرحلات، مذکور، ص.15.
9- شيخة، صفاقس عبر التاريخ ومن خلال كتب الرحلات، مذکور، ص.15.
10- مقديش، مذکور، ص.489.
11- الكعاك، مذکور، ص.30.
12- حسب ما جاء في دائرة مقديش، ليس الملك لوجار الثاني من أعدم الشيخ الفرياني وإنما ابنه الملك غليلام.
13- شيخة، قرقنة وجربة من خلال كتب الرحلات، مذکور، ص.15.
14- مقديش، مذکور، ص.493.
15- الفهري، مذکور، ص.32.



قراءات:

«تحديث الفكر الإسلامي في تونس من خلال بعض الآماذج المعاصرة» 1 لبارك حامدي:

من أجل مصاحبة نقديةٍ لمقاربات التحديث

يعتبر الباحث أن هذه الجهود نشأت في فضاء اجتماعي وفكري يتّسم بنظرة منفتحة للإسلام أرستها طبيعة المجتمع التونسي ونخبه القديمة التي تعاملت مع الإسلام بطريقةٍ مختلفة تشكل نواةً لتحديث الفكر الإسلامي وتخليصه من القراءات الجامدة والمغلقة.و في هذا الإطار تتبع مرجعيات تحديث الفكر الديني في تونس ومن أهمها الحركة الإصلاحية التي أسست لإسلام متسامح «إسلام تاريخي معيش مرن ومتسامح ومختلف عن الإسلام المعياري ومن أهم مميزاته التصرف في حدود المقدس بالزيادة والتقصان أو تجاهل».فهذه الحركة التي خاضت صراعا مع الوهابية ومظاهر التشدد الديني أنتجت مجتمعا معتدلا.وهو ما نسجت على منواله دولة الاستقلال التي تمسّكت بهذا التوجّه المنفتح واستلهمت مشروع الدولة الكيالية في تركيا و ما اتسمت به من مواقف،و هو ما جعلها من مرجعيّات هذا التحديث.

ولعلّ هذا وفر مناخا ما لظهور فكر تونسي مؤمن بالعدالة إذ «وجدت نخبة الفكرية أرضية مناسبة لطرح أفكار تحديثية موصولة بالمجال الديني» وهو ما ولّد فكرا مغامرا وجريئا.

هذا الفكر التديني الذي انخرط فيه عدد من الباحثين ،اعتمد مناهج مختلفة صنفها الباحث إلى:

1تبار مقاصدي منتصر للواقع والغايات و يقدم الواقع على النص و يقرّأ النص قراءة حركية مختلفة عن المقاصدين القدامى وممثله محمد الطالبي

2تبار تأويلي ينقسم إلى جامع للمناهج يوظف المناهج العلمية المختلفة في قراءاته ويمثله عبدالمجيد الشرفي و يوسف الصديق و «يحشد مناهج مختلفة»لتخلص من الأحكام المسبقة واستبعاد الأمور المفسدة للصفاء وآخر فينوميونولوجي يمثله هشام جعيط.

3تبار جندي تمثله الكتابات النسائية الوليدة عن الحركة النسوية والتي تحلّل و تقارب ألسهود في مواقف هذه الأسماء الفكرية و ما طرحته من مثل زهية جويرو ونائلة السليتي وغيرهن.

هذه التيارات كانت لها إسهامات مختلفة وعميقة ومثيرة للجدل اهتم الباحث بتبعيتها و منها ما اتصل بالفضاء العام و المواقف التي طرحتها النخب و تناولها لقضايا مختلفة خاض فيها الرأي العام التونسي.

3 تحديث الدين و الشأن العام:

ظهرت هذه الجهود في مواقف هذه الأسماء الفكرية و ما طرحته من أطروحات أثناء خوضها في بعض القضايا التي شغلت الرأي العام التونسي

و برزت بمواقف مختلفة

و متصادمة مع الفكر الديني الرسمي.

في هذا الإطار تتبّع الحامدي مواقف هؤلاء من تحويل الدين من معتقد إلى مؤسسة

و محاولة تقنينه .فهذه القضية كانت مشغلا تنوعت أطروحاته فنقدتها البعض و دعا إلى العودة إلى مناهج ما قبلها التي تميزت بالبساطة والتحرر و هو محور أطروحة عبد المجيد الشرفي .في حين اهتمّ البعض الآخر بالمسألة في جانب مأسسة التفسير و قصره على رجال الدين داعيا إلى تحرير البحث من هذه السلطة و محاولا تحرير قراءة القرآن وهو ما خاض فيه يوسف الصديقي.في حين توجه نقد آخر إلى مؤسسة الإفتاء منمّها إياها بتكريس الاستبداد الذكوري محاولا تخليصها من السلطة الذكورية وهو ما اتخذ الباحث له نموذج الباحثة زهية جويرو.

على هذا النحو من التّنوع و الجرأة درس الباحث هذه الإسهامات في قضايا أخرى مثل العلمانية.و خصّص بابا لقضايا الحرّيات و تحديدا حرية الاعتقاد و قضايا تحرير المرأة.ليخلص إلى ما في هذه التجارب الفكرية التونسية من مرونة و جرأة و ما فيها من مغامرة خوض للاختلاف و قد ختم الباحث عمله بالدعوة إلى صرح نقدي من مهامه مصاحبة الإنتاج العدائي و الدعوة التحديثية للخطاب الديني بالنقد والتحصيص .

و صفوة القول أن هذا الكتاب مثّل فرصة لمراجعة هذا الحراك الفكريّ و نفخ الغبار عنه

و توضيح بعض الياته و لعلّه شكّل نوعا من الاحتفاء بحركة تحديث الفكر الديني و نوعا من الدفاع العفائيّ عنها انتظارا لمستقبل حادّي حقيقيّ.

(Endnotes)

1 مبارك حامدي :تحديث الفكر الأسلامي في تونس من خلال بعض النماذج منشورات وحدة البحث في المتخيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس ط1 سنة 2020

تَنظُرُ

الجُدْرانُ

عبدالرحيم الماجري



تَنظُرُ الجُدْرانُ

إليك تَنظُرُ الجُدْرانُ وأجِباتِ

مُنْتَجِباتِ

إليك في سُبّانِكَ الوِثِرِ تَنظُرُ الأبوابُ

كُنْتُ قد أوْصَدْتُها

من قَبْلِ أن تَنامَ نَوْمَ الكهُوفِ

إليك كُلُّ هذه الجُدْرانُ والأبوابُ ناظِرَةٌ

لَعَلَّ في عَيْنَيْكَ الوُدْجانُ

لم تَنَمَّ بِنِعْمَةٍ ولو ضَيِّبَةً

مِن يَنقَطُ .

مِن سَنِينَ تَسُوع...والجُدْرانُ والأبوابُ والهَواءُ

ناظِرَةٌ مُتَعَجِّبَةٌ

مُنْتَظِرَةٌ

إلى متى ؟

فَقَدَّ يَعُولُ صَبْرًا فَتَحَرَّقُ الفِرّاشُ

وتَدْفَنُ إذ تُجَنُّ ما حَمَلُ !

وها مَجْدًا فَهكَ الوَحِيدُ مِنْكَ هاربٌ

وقد كَسَتْ وَصَعَتْ فيه أَمَلُ النِّجاةِ والوُصُولِ

....

فيا العُبابُ بَلِّغْتِي وعاصِفُ الرِّياحِ

في عِرْكِ يَعْتَلِّي السَماءُ

فَطَرَةٌ وَحيدةٌ تَكْفِيكَ

مِن ذَمِ إِباءِ

مِن الذينَ قد أبْوا

فَقَاتَلوا الوَياةَ

ذَرَّةً وَحيدةٌ تَكْفِيكَ

مِن وفاءِ

لِلَّذينَ قَدَ قَضَوا

مِن أجلِ أنْ تُكوْنَ مِنَ قبيلِ الكُرْماءِ

ها الفَجْرُ لَاحِ في الأفقِ

ها وَجْهُهُ المُحْمَرُّ بِاسِما

ها تَرَفُّ يَدَيْهِ قد كَفَّ

إنَّ هُزْمَهُ عَرِمَةَ الظلامِ

ها الجَمْعُ في انتظارِ قَوْمِكَ

ها إِنْ صَلاحي العُهودِ والوُعودِ

كُلَّهُمَّ مَعَكُ !



نستعرض في هذا العرض ثلاثة عناوين صادرة منذ مدة قصيرة في طبعتها الأولى وهي على التوالي، رواية الأستاذ لطوف العبد الله، «جريمة قطار كيمبرج»، ومجموعة الشاعر التونسي المقيم في الولايات المتحدة ميلاد فائزة «أصابع النحات»، ومجموعة الشاعر المغربي إدريس علوش «الليل مهنة الشعراء... وكفى...!». وهي أعمال صادرة عن ديار نشر تونسية هي على التوالي دار ديار ودار ميارة ودار البدوي للنشر والتوزيع.



الرئيسية من ماتهة الحاضر التي قطعت عنه
حبل الماضي ولم تسعفه بالرحيل إلى المستقبل.
إنه هنا والآن فقط.

لطوف العبد الله في جريمة قطار كيمبرج

حواله كثير الهلوسات وغريب الأطوار وهي صفات لا تساعد على اقتحام المستقبل ولا على البقاء في الماضي أيضا الذي أخذ يتباعد شيئا فشيئا. فنياً أقام لطوف العبد الله حيكته الزمانية والحدثية على ثلاث حركات، حاضر فماض قريب فماض بعيد فعودة إلى الحاضر وهكذا. تحيل الأحداث التي يعيشها البطل على أحداث مشابهة ولكن بقوانين أخرى حدثت منذ زمن غير بعيد هناك في ماضيه القريب، وإحالة تفسح المجال للمقارنة بين حضارتين وبين نظامين اجتماعيين وسياسيين وبين واقع الحريات بين الشرق والغرب.

لم يذكر الزاوي اسما لبطله ولا للشخصيات الروائية التي التقاها، اختيار يجعل التماهي مع الشخصية أيسر، ويمنح العمل إطلاقية أكبر ويخرج به من محدودية الخصوصية التي تفرضها الأسماء. ولكن ذلك لم ينقذ الشخصية

المسارب التي سلكها المنتبني نحو الكوفة ويتذكر قوله:

ذرائي والفلا دون دليل... ووجهي والهجير بلا لثام، كان الرجل يبحث عن بقايا دموع المنتبني المجدولة في أديم الأرض وسط أحياء الكوفة حين نعى خولة الحمدانية.. (ص44).

لم تكن الرحلة إلى الغرب/ المستقبل مثلما خطط لها أو رجاها، وجد نفسه منذ البداية غريبا، تطارده الريبة حيث حلّ وتهاجمه الشرطة وتستبق سوء الظنّ به. هو أيضا لم يحسن الظنّ بهم، ناصبهم العدا في عقر دارهم لكنّ فعله كان دائما مبتورا، حاول رمي «طوني بلير» بالطمائم مثلما فعل الفلاحون الغاضبون وفشل، حاول أن يشرح وجهة نظره وفشل، حاول أن يكسب ثقة العجوز وانتهيا غاضبين أحدهما من الآخر. ولم تتركه الهواجس والكوابيس، جعلت منه كائنا غريبا في نظر من

يقرّر «بطل» الرواية أن يرحل بعيدا عن مدينة الياسمين ولكنه يقف حائرا في ما سيحمل معه في رحلته تلك: «فماذا سيحمل معه من الشأم إلى بلاد الضباب والشأم ساكنة في القلب... يتوقّف عند الباعة جميعا ويقلب بضاعتهم رأسا على عقب. ثم ينفجر ضاحكا، ويسأل ماذا عساه أن يحمل؟ لا شيء يُحمل إلى هناك سوى الماضي». (صص6-7).

وحمل الماضي، حملة في ماضيه الشخصي الذي لم يستطع التخلّص منه، وحمله في ماضيه الجمعي الذي فرض نفسه في المستقبل الذي رحل إليه يشده إلى جذوره فتعددت أصوات الماضي وتنوعت، فحضر صلاح الدين وصدق صوت الشريف الرضي:

«وتلقت عيني فمد خفيثا /// عنها الطلول تلتفت القلب»، كلّمها أوغل في ما اعتقده مستقبلا ارتدّت بذات الدرجة أو أكثر إلى غوره، إلى ماضيه، «يتقدّم نحو الماضي باحثا عن

هي الرواية الثانية للكاتب السوري المقيم في تونس لطوف العبد الله بعد روايته «لا شيء يستحق الذكر»، الصادرة في طبعتها الأولى سنة 2018 عن دار ديار للنشر والتوزيع أيضا. وتقع الرواية، الصادرة في طبعتها الأولى سنة 2019، في 98 صفحة من الحجم المتوسط وفي طباعة تيسر عملية القراءة، لذلك يمكننا القول إنها رواية قصيرة نسبيا دون أن يخلّ قصرها بقيمتها الفنية والمضمونية.

«جريمة قطار كيمبرج» رحلة في البحث عن الذات، عن المستقبل الذي غادر محطة الشرق منذ أزمنة تاركا الآن يتحوّل ببطء إلى ماضٍ ويوغل. لذلك كان قرار الشخصية الرئيسية أن يرحل نحو المستقبل، ولذلك بدأت الرواية بالإعلان عن التحوّل في المكان والزمان إيدانا بالحركة، «كان الزمان الألفية الثانية عندما حان الرحيل إلى مدينة الضباب. العالم كله ينزع نحو الرحيل إلى الألفية الجديدة» (ص5).

أصابع النحات لميلاد فائزة

الطاغي في النصوص، يقول في قطرة زيت على سبيل المثال: «يدي ويدك متشابكتان في العاصفة تقطعت حبال وأشرعة وعلا صراخ حين سقطت قطرة زيت على خصرك في الظلام...» (ص59).

حضور المرأة يرافق حضور المدن من موزيغال إلى سان فرانسيسكو إلى كاليفورنيا إلى غيرها من المدن وكأنها رحلة في الولايات المتحدة ومباهجها وحاناتها.

أصابع النحات لم تغفل عن النحت في المجموعة وقد وفّت قصيدة بورترية بالغرض لتخرج بالعمل الفني من الرسم إلى النحت وتخرج بالمجموعة من القول إلى الصورة بجزئياتها الدقيقة. أصابع النحات مفاجأة سارة لمحبي الشعر وتجربة جديرة بالمتابعة.



يصرّ ميلاد فائزة على استحضار عناصر الحياة، ويكتف من ذكر النار وما تكمن فيه، والماء وما يتخذ من أوعية والتراب ثمّ الهواء العالق في الجوّ والنافخ للروح، ولعلّ أفضل ممثل لهذه العناصر الكونية هي المرأة التي لا يكاد يخلو نصّ من حضورها، حضور قد يظهر منذ العنوان: «نينا سيمون» عازقة البيانو» أو في حضورها

مادام ثمة آثار موسيقى في دمي سأراقصك الليلة في تجاوب هذه الشجرة ومضي حين تذيب شمس الصباح ثلوج آذار المترددة» (ص36).

بين الثلج والنار تنساب القوائد تعيش الثلج وتستحضر النار تدفع بها الصقيع، وتستعيد الأنامل ليونها فتخطّ الحكاية، وسيان أكانت حكاية التيه أم حكاية الوجود، فيكفي أن يحكي حتى يزهر الكون وتدب الحياة، يقول:

منذ سنوات بعيدة حين كان يرقص في شوارع أحرقتها شمس أصياف قائظة منذ سنوات شفاقة مثل كرسيّ وحيد خلف الغيوم كان يكتب بحروف غامضة حكاية التيه في أرض فانية..» (ص62).

أنت من البحيرة وأنا من ماء طفل هام على أصابع يديه المليئين زيتا وتينا» (ص65).

غابة من المقارنات والفويرقات التي تجعل لكلّ عالم خصوصية وهوية تقف شاهدة على هوة حضارية تنتقل إلى الأفراد:

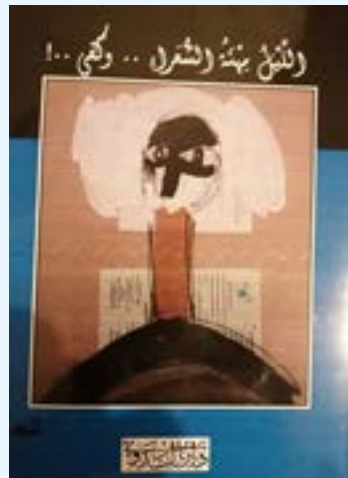
«أنت كاليفورنيا وأنا قرطاج التي تهاوت أعمدتها» (ص68). توهج في مقابل ذبول وهزيمة، هكذا بدا الأمر لكنها هزيمة آتية، أو ربما هي رجح أصدية كامنة في النفس من غابر الدهور ترتدّ متى أوجع الحنين صاحبها، هذا صاحب الذي لا يتوانى على المقاومة والسعي في أثر الحياة من مدينة إلى أخرى ومن نبض حياة إلى نبض وضمن هذا الإطار نفهم قوله:

ولتسقط الكاميرا في التهر إذن ولتخن الذكرة ذاكرتها

مجموعة شعريّة صادرة في طبعتها الأولى عن دار ميارة للنشر والتوزيع، تونس 2019، للشاعر التونسي المقيم في الولايات المتحدة ميلاد فائزة، وهي مجموعة تتكوّن من واحد وثلاثين نصّا، تتوزّع على 94 صفحة. بين «جريمة قطار كيمبرج» وأصابع النحات علاقة وثقى، إنها رائحة الغربية وطعم الحنين إلى المكان وما في المكان، حنين نجده عند ميلاد فائزة في حضور قرطاج إلى جانب كاليفورنيا وسائر مدائن الولايات المتحدة، يقول في «حُبعل مصلوبا على أعمدة قرطاج:

أنت من كاليفورنيا وأنا من جنوب بعيد تلتفه أشجار قديمة وصحراء أنت من لغة الغزاة أنت من الرحيل وأنا من قبيلة أحرقت كاهنتها غابات الصنوبر

الليل مهنة الشعراء... وكفى لإدريس علوش



مكونها وتمنّعت عن البعض الآخر مواربة بابها ملوحة له بالعودة من جديد وإنه لعائد إليها بالتأكيد.

ويعيد تشكيل العالم رغم خراب النصّ، وطغيان الغياب على القصيدة، رغم مرارة الواقع وغربة المكان رغم أن: «فاكهة الموت على مرأى من نوارس الضفاف»، (ص55)، فإنّ الكتابة إعادة تشكيل للواقع ومغالبه لكلّ العوائق. وإدريس علوش لا يكتفي باستدراج قارته إلى القصيدة وإنما يعمل على إقامة قارته فيها فلا يكتفي بقراءة واحدة، وكلّمها عاد القارئ إليها كشفت له عن بعض

بحث ينتهي في المنافي والغربة ومراكب الموت: «المنافي هكذا بقيت في درج السؤال تكابر انشطار الهوية في جوازات ملونة ممتدة من البحر إلى رقص قوارب الموت حيث الضفة الأخرى -هناك- مائلة كفردوس وإهم...!» بين الرغبة في الكون والفردوس الموهوم، يكبر السؤال ويدرك تفاصيل الحياة ويصل منتهى الحكاية، يقول: «إلى متى

دويّ العبارة، سرّ الكتاب، شارع نزار قباني، على حافة الإفلاس، كلمات متقاطعة جدًا، مرثية لحداء البلاد المنخفضة ووجع الرأس. وتبدو المجموعة بحثًا في الذات وعنّها، هي بحث عن المعنى المتدنّرت بجلباب الخفاء، ومنذ بدء القول الشاعر معربا عن حيرته وسعيه في البحث عن أناة: لكي أبحث عني عن مرادف لعدم الاسم أحتاج مجهر عالم متقاعد وغربلا لجمع شتات الحقيقة وعقارب ساعات متربة وحقيقية أسرار باردة... (ص12).

صدرت عن دار البدوي للنشر، والتوزيع، تونس، المجموعة الشعرية الثامنة للشاعر المغربي إدريس علوش، وهي مجموعة قال فيها ناشرها الأستاذ محمد البدوي: «إنّ قصائد هذه المجموعة تبدو كالنهر، يراه المرء في ظاهره ساكنا هادئا وهو في الحقيقة هادر يجري في قراره نحو مصبه الأخير من حيث ندري ولا ندري.» وتمتدّ المجموعة على 107، صفحة وتتكوّن من ثلاثة عشر نصّا هي: أروقة لأزقة الضياء، استعارات، الذئب الذي كان، الليل مهنة الشعراء وكفى...، حذاء ثخين، دالية الدهول،